



معالجة الصراعات المتداخلة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

مجموعة الأزمات الدولية | 22 كانون الأول/ديسمبر 2017

ترجمة من الإنكليزية

Headquarters

International Crisis Group

Avenue Louise 149 • 1050 Brussels, Belgium

Tel: +32 2 502 90 38 • Fax: +32 2 502 50 38

brussels@crisisgroup.org

Preventing War. Shaping Peace

جدول المحتويات

I	لمحة عامة: طريقة جديدة للنظر إلى صراعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا	1
II	أصول الصراعات ومجموعات الصراع	3
	أ. المجموعة الأولى: النظام/انعدام النظام العربي	3
	ب. المجموعة الثانية: الصراع العربي الإسرائيلي	3
	ج. المجموعة الثالثة: الثورة الإسلامية وصعود إيران	4
	د. المجموعة الرابعة: التطرف السني	5
	هـ. المجموعة الخامسة: الانتفاضات العربية وما بعدها	6
III	دوائر متراكزة	8
	أ. التنافسات الإقليمية	8
	1. إيران	9
	2. السعودية	10
	3. تركيا	13
	4. إسرائيل	16
	ب. اللاعبون الخارجيون والتدخلات الخارجية	18
	1. الولايات المتحدة	19
	2. روسيا	21
	3. الاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء فيه	24
IV	كيفية معالجة التشابك المتزايد للصراعات	27
	أ. تقاطع خطوط الصراعات والتدخلات الخارجية	27
	1. مثال: سورية	27
	2. أمثلة أخرى من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا	28
	ب. عكس تراكز الدوائر	31
	ج. مبادئ السياسات الموجهة لإدارة الصراعات	33
	1. في الصراعات القائمة: لا ضرر ولا ضرار	34
	2. بالنسبة للدول التي لا تزال قائمة: ساعدوا في إعادة التفاوض على العقود الاجتماعية	36
	د. اللاعبون الإقليميون: طُوروا تسوية مؤقتة جديدة	37
	هـ. اللاعبون المحليون: انهوا الصراع، وأعيدوا الإعمار، ورتبوا بيتكم الداخلي	38
V	الخلاصة	39

الاستنتاجات الرئيسية

ماذا حدث/ما الذي يحدث؟ منذ الانتفاضات العربية في العام 2011، تداخلت صراعات ذات أصول متباينة في طول الشرق الأوسط وعرضه وانتشرت كالسرطان. وقد جرّت هذه الصراعات إليها قوى إقليمية ودولية، وسممت العلاقات فيما بينها، وأدت إلى ظهور المزيد من اللاعبين المحليين في الصراعات وعقدت مهمة صناع السياسات في الاستجابة لها بشكل فعال.

ما أهمية ذلك؟ إن استجابات السياسات التي تعالج الصراعات بشكل منعزل وتتجاهل أسبابها العميقة قد تحمل من الضرر أكثر مما تحمل من النفع. إن تحقيق الاستقرار في الدول التي تمزقها الحروب أو خفض التصعيد في الأزمات يتطلب فهماً للطبيعة المتداخلة للصراعات الإقليمية وللوقى الأعمق الدافعة لهذه الصراعات.

ما الذي ينبغي فعله؟ ثمة حاجة إلى منهجية جديدة لتحقيق المعالجة الفعالة لصراعات الشرق الأوسط في حقبة ما بعد العام 2011. يمكن لمفهومين تحليليين – مجموعات الصراع والدوائر المترابطة – أن يساعدا صناع السياسات على تفكيك عُقد صراعات المنطقة، وتوفير درجة أكبر من الوضوح في التشخيص واتباع مبدأ بسيط ينبغي أن يكون في جوهر جميع المقاربات: أولاً، لا ضرر ولا ضرار.

يتقدم بوست هيلترمان، المسهم الرئيسي في هذا التقرير، بالشكر للأشخاص الآتية أسماؤهم لتقديمهم أبحاثاً جوهرية حول خلفية الموضوع: مستشاري مجموعة الأزمات ديميتار بتيشيف، وعلي فتح الله – نجاد وسيبستانيان صنز، وكبير محلي مجموعة الأزمات لشؤون إسرائيل/فلسطين عوفر زلزبيرغ؛ كما يتوجه بالشكر الجزيل لجميع أعضاء فريق برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مجموعة الأزمات لتقديمهم البيانات والتبصرات، ولمراجعة النتائج، التي يتحمل المسهم الرئيسي المسؤولية الكاملة والحصريّة عنها.

معالجة الصراعات المتداخلة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

I. لمحة عامة: طريقة جديدة للنظر إلى صراعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

إن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لا تسمح بتقديم تحليلات سريعة. أحداث ما بعد العام 2011، التي وقعت بسرعة مذهلة وكانت حافلة بالتناقضات الظاهرية، تعقد المشكلة. وتحدث الصراعات المتسعة والمتداخلة بشكل متزايد ضرراً كبيراً على النسيج الاجتماعي والسكان. نتيجة لذلك، فإن ما يحدث في المنطقة لم يعد محصوراً فيها؛ فقد بدأت الأزمات المتسعة تنقل عدواها إلى العلاقات بين القوى الإقليمية والعالمية، وتجبر صناعات السياسات في العواصم العالمية على الاستجابة في مسعى لتحقيق المصالح الاستراتيجية لبلدانهم. يتمثل التحدي في فك عقدة هذه الصراعات بشكل تحليلي، أي في فهم الكيفية التي تفاعلت بها تيارات تاريخية مختلفة لتشكيل تركيبة معقدة من القوى الدافعة للصراعات واللاعبين الضالعين فيها، وهي التركيبة التي تطرح تهديدات متنوعة للاستقرار المحلي والإقليمي وحتى العالمي، ومن ثم وضع استجابات في مجال السياسات ترسم مسارات نحو خفض التصعيد، وفي النهاية التوصل إلى ترتيبات أكثر استدامة للتعايش السلمي بين الدول والمجتمعات. الأمر الأكثر أهمية هو أنه لا ينبغي لهذه الاستجابات أن تجعل الأمور أسوأ.

يتطلب فهم الجذور والخصائص الرئيسية للملامح المتغيرة بسرعة للمنطقة طريقة جديدة في النظر إليها. لم يعد بوسعنا ببساطة دراسة الصراعات بشكل منعزل، مثل الصراع العربي - الإسرائيلي. يبقى هذا مهماً، لكن علينا أن نضيف أبعاداً جديدة. كيف أفضى صراع واحد إلى صراعات ثانوية لتشكيل "مجموعات" صراع؛ وكيف بدأت الصراعات داخل كل مجموعة بالتسرب إلى الصراعات في مجموعة أخرى؛ وكيف اتسعت الصراعات المنفردة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لتقحم فيها أولاً القوى الإقليمية، ومن ثم لاعبين عالميين نتيجة حالات الفراغ في السلطة والأمن التي نشأت في فوضى الحرب.

الصراع العربي الإسرائيلي، على سبيل المثال، الذي يعود في جذوره إلى قرار القوى الغربية قبل قرن من الزمن دعم تأسيس دولة يهودية في الشرق الأوسط (الذي عُبر عنه أولاً في وعد بلفور)، اخترق حدود المنطقة المعروفة بإسرائيل وفلسطين ويشمل مناطق أخرى، خصوصاً لبنان، وأدى إلى ظهور لاعبين جدد في الصراع، مثل حزب الله. اليوم، يشارك حزب الله في الحرب الأهلية السورية، التي لها جذور خارج الصراع العربي الإسرائيلي، وهو متحالف مع إيران، التي أثار صعودها في المنطقة في أعقاب الانتفاضات الشعبية الفاشلة في العام 2011 استجابات مزعومة للاستقرار من دول الخليج مثل السعودية والإمارات العربية المتحدة، خصوصاً في اليمن. في هذه الأثناء، فإن هذه الدول نفسها تفرض نفوذها في شمال أفريقيا لتكسب فيما كان أصلاً صراعاً منفصلاً بين أشكال متنافسة من التعبير السياسي عن الإسلامية السنية، التي يعد الإخوان المسلمون جزءاً منها. ولجعل الأمور أسوأ، فإن الحريين الملتهبين في سورية واليمن نقلتا عدواهما إلى قوى عالمية مثل روسيا والولايات المتحدة، اللتان تستعملان ثقلمها الهائل نيابة عن أحد الأطراف بينما لم تتمكنتا حتى الآن من فعل ذلك بشكل حاسم وفرض تسويات دائمة.

إن استجابات السياسات الموجهة نحو أحداث منفردة في صراعات منفردة - مثل أزمة الهجرة في ليبيا، أو صعود الجهاديين في سورية - قد تلحق الضرر أكثر مما تعود بالنفع. وهذا ليس فقط لأن مثل هذه السياسات تنزع لأن تكون سريعة وذات طابع أمني، بل أيضاً لأنها تتجاهل القوى الدافعة الأعمق الكامنة خلف هذه الأحداث المنفردة، وبذلك تؤدي إلى مفاقمتها. ويعد تقديم الدعم العسكري الخارجي لأحزاب كردية معينة في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام مثلاً جيداً على ذلك؛ فقد عزز هذا الدعم آمال الأكراد بالدعم الخارجي لتطلعاتهم القديمة بالحصول على درجة أكبر من الحكم الذاتي، وحتى الاستقلال. اختاروا أن يصبحوا عن طيب خاطر وكلاء للقوى الخارجية من أجل تحقيق أجنداتهم الخاصة. أدى هذا بدوره إلى ظهور أزمات جديدة وإضافية بدلاً من خفض حدة التوترات الإقليمية.

ثمة حاجة لمنهجية جديدة لمعالجة هذه الصراعات التي نشأت بعد العام 2011 من خلال التحليل ووضع السياسات. لقد تنامت مخاطرة المضي في سياسات تلحق المزيد من الضرر، خصوصاً مع انتشار صراعات ذات أصول مختلفة وتداخلها، ما أدى إلى نشوء جيل جديد من اللاعبين من غير الدول في الصراعات وإقحام القوى الإقليمية والعالمية. أقترح مفهومين تحليليين للمساعدة في التوصل إلى درجة

أكبر من الوضوح، أحدهما جديد، والثاني قديم، أعني مجموعات الصراعات والدوائر المترابطة. ومن ثم استكشف كيف تتفاعل هذه المجموعات والدوائر مع مختلف أنواع وأشكال التدخلات.

بدلاً من تقديم الوصفات لصراعات منفردة، فإني أضع المجموعة المعقدة من الصراعات المتداخلة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا واللاعبين في هذه الصراعات في إطار يوضح ماهية دوافع هؤلاء اللاعبين وماهية القوى الدافعة لصراعاتهم. وسأقترح مجموعة من المبادئ التي ينبغي أن تحكم أي مقارنة من قبل القوى العالمية والإقليمية لهذه الصراعات، استناداً إلى الحاجة إلى احتواء الوضع الراهن دون جعل الأمور أسوأ. تستند هذه الدراسة إلى سنوات من البحث الميداني في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أجريته أنا وزملائي في مجموعة الأزمات الدولية.¹

¹ جميع الإشارات إلى "مقابلات" تتعلق بمقابلات أجريتها أنا أو زملائي في مجموعة الأزمات.

II. أصول الصراعات ومجموعات الصراع

إن مقارنة تاريخية للصراعات في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تشير على الأقل إلى خمس مجموعات صراع منفصلة نشأت من صدمة الحرب العالمية الأولى وتفكيك الإمبراطورية العثمانية، ولكل منها أصولها وذريتها العنيفة:

- نظام الدول المعطلة الناشئة بعد الحرب العالمية الأولى (التي تطورت بشكل كبير على مدى أكثر من مئة عام لكنها لم تتمكن أبداً من تجاوز بداياتها المضطربة)؛
- الصراع العربي الإسرائيلي، الذي تسبب به تأسيس دولة إسرائيل في العام 1948؛
- صعود إيران وما ترتب عليه من تصاعد التوترات المذهبية السنية – الشيعية، التي أطلقتها الثورة الإسلامية في العام 1979؛
- التطرف السني، الذي اكتسب زخماً بسبب هزيمة الجيوش العربية في حرب حزيران/يونيو 1967 مع إسرائيل ومن ثم الرد السعودي على حصار مكة في العام 1979؛
- الانتفاضات العربية في العام 2011 والتحديات الشيعية في سائر أنحاء المنطقة للنظام/انعدام النظام القائم، وتردي هذه الانتفاضات إما إلى تخندق الأنظمة أو إلى الحرب الأهلية (الآن تونس بوصفها الاستثناء غير المؤكد).

أ. المجموعة الأولى: النظام/انعدام النظام العربي

من المهم وضع صراعات اليوم في سياق تاريخي؛ أي الولادة المضطربة للدولة – الأمة الراهنة في فوضى الحرب العالمية الأولى وسكرات موت الإمبراطورية العثمانية، "رجل أوروبا المريض". كانت الصدمة عميقة، حيث تقلصت الإمبراطورية إلى دولة تركيا، التي ألغت الخلافة. ولا تزال المنطقة تترنح من أثر هذه الانتكاسات على قوتها الدنيوية والدينية. بشكل منفصل، تقلصت الإمبراطورية الفارسية أيضاً، لكن في قوتها وليس في جغرافيتها، وانفتحت على الاختراق والنفوذ الغربيين.

ولذلك فإن تاريخ العالم العربي – وإلى حد ما تاريخ تركيا وإيران – هو سجل لإحداث مجتمعات تسعى للتكيف مع التدخل الدائم من لاعبين خارجيين أكثر قوة: مقاومة هؤلاء اللاعبين أو، عندما يكون ذلك ممكناً، تحويلهم وجعلهم جزءاً من تركيبتهم. ولذلك فإن الطبيعة الهجينة للدول التي نشأت عن ذلك – والمدفوعة جزئياً بالمصالح الإمبريالية، والتي تعكس جزئياً البنى والممارسات المحلية الموجودة أصلاً – أدت إلى نشوء أزمة دائمة وملحة تتعلق بشرعيتها.

إلا أن محاولات استبدال النظام/انعدام النظام ما بعد العثماني فشلت وظل البحث عن الوحدة العربية صعب المنال. ويعود هذا بشكل أساسي إلى أن الرؤى المتوافرة أخفقت في معالجة التحديات الاجتماعية والاقتصادية العميقة للمنطقة، لكن أيضاً لأن القوى الخارجية لم تتوقف عن التدخل في شؤونها. على مدى مئة عام، كانت أنظمة الدول في المنطقة، مهما كانت واجهتها الأيديولوجية، تستند غالباً إلى حكم الأقليات، العسكري والقمعي، الذي لم يبيد في العديد من الحالات معارضة لجوع القوى الخارجية لموارد المنطقة.

أصبحت الانقلابات العسكرية أفضل وسيلة للوصول إلى السلطة. واستقدم الحكام المستبدون المؤسسات العسكرية – الأمنية للسيطرة على المجتمعات، التي سحقت الحياة السياسية، وفي حلقة مفرغة، عطلت الآليات التي من شأنها ضمان التبادل السلمي والمنظم للسلطة. ولأن الأنظمة كانت تتغير بالقوة، فإن المؤسسات المدنية التي بنتها القوى الاستعمارية، مهما كانت عيوبها، تردت أكثر فأكثر، وأزيل أي شكل من أشكال المراقبة والموازنة أو تقديم الخدمات بشكل تكنوقراطي، وأبقت سلطات حاكمة لصوصية تتغذى بشكل مباشر أو غير مباشر على عائدات النفط.

وكي تتفاقم المشكلة، فإن التحول الهائل الذي أنهى إمبراطورية واستبدلها بمشاريع استعمارية أطلق سلسلة من الزلازل، وأد كل منها مجموعة منفصلة من الصراعات.

ب. المجموعة الثانية: الصراع العربي الإسرائيلي

تمثل الزلزال الأول في تأسيس إسرائيل في العام 1948، الذي رأى فيه السكان المحليون، ولكن أيضاً المنطقة بأسرها، دليلاً على مشروع غربي مستمر لتقسيم وإضعاف العالم العربي في حقبة ما بعد الحرب العالمية الأولى. كان لصراعات إسرائيل مع السكان الأصليين في فلسطين والدول واللاعبيين من غير

الدول في المنطقة أبعاد قومية ودينية منفصلة، اختلطت، مع إضعاف الأحزاب والممارسات السياسية العلمانية، وبات من الصعب التمييز فيما بينها في بعض الأحيان.²

كان الصراع للحصول على دولة مستقلة عاصمتها مدينة القدس بقيادة خليط من المجموعات السياسية العاملة بوحى من الأفكار العلمانية والدينية. بالنسبة للمسلمين واليهود في سائر أنحاء العالم، تظل القدس مدينة مقدسة؛ وبالنسبة للفلسطينيين والإسرائيليين، فإن أرض إسرائيل/فلسطين جزء من إرثهم القومي؛ وكل من الطرفين يرى الآخر دخيلاً غير مرغوب به. وهذا يعني أنه لا يمكن نشوء دولة فلسطينية مستقلة دون ترتيب مقبول للطرفين بشأن القدس، والأرض والحدود.

بالنظر إلى أن التوصل إلى اتفاق يبقى أمراً بعيد المنال، وإلى أن الوضع على الأرض يميل على نحو متزايد في الاتجاه المعاكس لمجرد احتمال التوصل إلى اتفاق، فإن الصراع يتفاقم، ويتنازل في جولات متكررة من القتال وينقل عدواه إلى الحياة السياسية في المنطقة برمتها.

ج. المجموعة الثالثة: الثورة الإسلامية وصعود إيران

حدث الزلزال الثاني في العام 1979. عكست الثورة الإسلامية في إيران أيضاً استجابة للمحاولات الإمبريالية الغربية للإبقاء على المنطقة مقسمة، وفي حالة اعتماد على الغرب وتحكمها أنظمة قمعية.³ استبدلت النظام الملكي للشاه بجمهورية. وظهر شكلها الإسلامي في تعارض مع دأب النظام على تقليد الأيديولوجيا والممارسات العلمانية للغرب وقمع المعارضة، بما فيها اتباع آية الله روح الله الخميني، الذي كان في المنفى. بوحي من الخميني، أسس الثوريون نظاماً سياسياً جديداً على أساس ديني (ولاية الفقيه) رسخ السلطة المحلية. كما حاولوا تصدير الثورة، لكن في حين أنهم وجدوا حلفاء ووكلاء، فإن هؤلاء لم يكونوا جميعاً من الشيعة وقلة منهم اعتنقت أيديولوجيا الثورة الإيرانية.

الطبيعة الشعبية للثورة وبعدها الجمهوري شحنا العالم الإسلامي برمته بالحماسة وأخافا الأنظمة العلمانية – الجمهورية والملكية على حد سواء – التي كانت توازي نظام الشاه قمعية. كما اهتزت هذه الأنظمة أكثر جراء دفاع وتبني إيران للنشاط السياسي الشيعي في أوساط الشيعة في بلدانها،⁴ والذي رأى فيه كثيرون في العالم العربي قناعاً للطموحات الإيرانية بإعادة تأسيس الإمبراطورية الفارسية.

كان تحالف إيران مع حزب الله في لبنان، الحزب الذي ساعدت في تأسيسه، دفاعياً (لحماية الطائفة الشيعية في لبنان) وهجومياً حيث إن إيران وحزب الله اضطلعوا كلاهما بالدفاع عن المضطهدين، بمن فيهم الفلسطينيون، وأعلننا بشكل متكرر تطلعهما لتحرير القدس. هذا الموقف وضع إيران وحليفها اللبناني في مواجهة مع إسرائيل. في وقت لاحق، بدأت إيران بتطوير برنامج نووي ادعت أنه لأغراض سلمية بينما فسره أعداؤها على أنه اندفاعاً للحصول على السلاح النووي. نتيجة لذلك، أصبحت العدواة مع إسرائيل أكثر وضوحاً، وبدأت طهران باعتبار حزب الله "دفاعاً متقدماً" – طريقة لردع إسرائيل أو الولايات المتحدة عن مهاجمة برنامجها النووي و/أو محاولة تغيير النظام. كان أحد العناصر الحيوية للعلاقة بين إيران وحزب الله وجود خط للتزود بالسلاح مروراً بدمشق (جواً من إيران وبراً إلى لبنان).

خاضت إسرائيل حروباً مع حزب الله في الأعوام 1993، و1996 و2006. وفي كل مرة، كان الدمار في لبنان أكثر اتساعاً؛ وفي كل مرة، وصلت صواريخ حزب الله إلى مسافات أبعد داخل إسرائيل. بعد حرب العام 2006، قبل الطرفان، إدراكاً منهما بالقدرة التي يمتلكها كل منهما على إلحاق ضرر بالغ بالآخر وبالسكان المدنيين لديهما، بوضع يتمثل في الردع المتبادل. وقد ساهم ذلك بالمحافظة على السلام، بشكل ما، منذ ذلك الحين.

² Ofer Zalberg, "In Ireland, Israel's Religious Right Engages with Ideas for Peace", Crisis Group commentary, 21 September 2017.

³ يذكر الناس في الشارع جيداً أن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة أطاحت برئيس الوزراء المنتخب ديمقراطياً، محمد مصدق، في العام 1953، بعد محاولته تأمين صناعة النفط. انظر Stephen Kinzer, *All the Shah's Men* (John Wiley & Sons, 2008).

⁴ البحرين والعراق هما البلدان العربيان الوحيدان اللذان أغلبية سكانهما من الشيعة؛ في لبنان، يشكل الشيعة أكبر مجموعة سكانية، بينما يوجد في السعودية والكويت أقليات شيعية كبيرة. اليمن هو البلد العربي الوحيد في العالم الحديث (قبل الانتخابات العراقية لعام 2005) الذي جرب الحكم الاسمي الشيعي، خلال حكم الإمامة، إلا أن شيعة اليمن، الزيديين، مختلفون بشكل كبير من حيث الممارسات الدينية عن الشيعة الاثني عشرية في إيران، والعراق ولبنان، وهم أكثر شبيهاً بالسنة.

عندما تعرض نظام بشار الأسد في سورية للتهديد في العام 2011، اندفعت إيران وحزب الله للدفاع عنه والمحافظة على خط الإمداد بالسلاح. ثم استعملت إيران معركتها بالوكالة ضد تنظيم الدولة الإسلامية لتعزيز موقعها وتوسيع نفوذها في العراق. أثار هذا شكوك خصومها من أن إيران كانت تعزز إقامة ممرات برية إلى البحر المتوسط من شأنها - بصرف النظر عن المنفعة الاقتصادية - أن تزيد، أو إذا دعت الحاجة، تستبدل الممرات الجوية والبحرية إلى حزب الله.⁵

د. المجموعة الرابعة: التطرف السني

اتخذت المقاومة للنظام/انعدام النظام الذي نشأ عن تلاعب واستغلال القوى الاستعمارية في مرحلة ما بعد الحرب شكل القومية العربية العلمانية. لكن مرور الوقت، تطور خطاب إسلامي أيضاً، مستهدفاً الهيمنة الغربية على العالم العربي وإخفاق القوميين العرب في الدفاع عن الأرض العربية من التداخلات الخارجية المستمرة، خصوصاً خلال الصراعات بالوكالة في حقبة الحرب الباردة. ثم تلقى الإسلاميون دفعة مفاجئة، ليس نتيجة قوتهم ورسالتهم المقنعة، بل من هزيمة الدول العربية في حرب حزيران/يونيو 1967 مع إسرائيل، التي سميت بشكل مهين "حرب الأيام الستة". شكل ذلك نقطة تحوّل، مضى في أعقابها القوميون العرب، بقيادة جمال عبد الناصر، في انحدار شديد وبدأ الإسلاميون صعودهم، رغم أن ذلك لن يصبح واضحاً إلا بعد عقد من الزمن.

في نفس العام الذي انطلقت فيه الثورة الإسلامية، تعرضت السعودية، بأماكنها الإسلامية المقدسة وسكانها من الأغلبية السنية، لاضطرابات ليست ذات قاعدة شعبية عريضة، بل أثارها أيضاً عصابة من المترمّنين الإسلاميين الذين استولوا في تشرين الثاني/نوفمبر 1979 على المسجد الحرام في مكة. تمكنت قوات الأمن السعودية من استعادة السيطرة على المسجد بمساعدة فرنسية كبيرة، لكن الحادثة أعطت زخماً لموجة من التطرف داخل الطائفة السنية أنتجت، بمرور الوقت، حركات متزمتة غير متسامحة، وكذلك مجموعات جهادية مثل القاعدة والدولة الإسلامية، تغذت أيضاً على المعارضة المباشرة للحركة الإحيائية الشيعية التي أطلقتها الثورة الإيرانية.

ردت العائلة السعودية الحاكمة على الأحداث في إيران وعلى هذا التحدي العنيف من الداخل بتعزيز قاعدتها الوهابية⁶ تم توجيه المعركة ضد المذهب الشيعي و ضد الإسلاميين الصاعدين، خصوصاً الإخوان المسلمون. رغم أن للإخوان جذور متطرفة في مصر، فإنهم بحلول ثمانينيات القرن العشرين كانوا قد أصبحوا بشكل رئيسي حركة انتشرت في الطبقة الوسطى، بقيادة متعلمين من أصحاب المهن، مثل الأطباء والمهندسين، الذين يدعو خطابهم الرئيسي إلى شكل جمهوري في الحكم وحياة سياسية برلمانية. إلا أن الأنظمة العربية اعتبرتها تهديداً متنامياً بوصفها المجموعة الوحيدة التي تتمتع بدعم قواعد واسعة في مصر، وتعززت قوتها بالإمكانات المحتملة التي طرحتها الثورة الإيرانية. واستهدفتها إما بالقمع أو من خلال الاستقطاب والاستيعاب الاستباقي.⁷

استجابة لتصورها بوجود تهديد مزدوج متنامٍ من الإخوان المسلمين والشيعية المتطرفة المدعومة من إيران، بما في ذلك في منطقتها الشرقية، صعّدت السعودية من نشاطها الدعوي الوهابي ببناء المساجد، ودفع رواتب رجال الدين وتوزيع الأدبيات الدينية في سائر أنحاء العالم الإسلامي. كما بدأت بتبني القضايا الإسلامية (السنية)، مثل الحرب ضد السوفييت في أفغانستان، وشجعت شبابها الذي أصبح راديكالياً و مندفعاً للانضمام إلى المجاهدين، وهي سياسة شجعتها بحرارة إدارات كارتر، وريغان وبوش، إضافة إلى

⁵ Joost Hiltermann, "Iraq: The battle to come", *NYR Daily*, 1 July 2017, and "Syria: The hidden power of Iran", *NYR Daily*, 13 April 2017.

⁶ الوهابية، وهي حركة سلفية، بدأت بوصفها حركة إصلاحية في نجد في القرن الثامن عشر. شكل اتفاق عقد بين الروهابيين المحليين وآل سعود أساس الدولة السعودية الحديثة. انظر Guido Steinberg, "The Wahhabi Ulama and the Saudi State: 1745 to the Present", in Paul Aarts and Gerd Nonneman (eds.), *Saudi Arabia in the Balance: Political Economy, Society, Foreign Affairs* (London, 2006).

⁷ في الأردن، سعى الملك الهاشمي إلى استباق أي تحدٍ إسلامي لحكمه العلماني باستقطاب الإخوان، حيث سمح للمجموعة بالترشح للانتخابات وأشركها في الحكومة. تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 118، "الاحتجاجات الشعبية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط (IX)": "تسوية الإصلاح في الأردن منقسم على نفسه"، 12 آذار/مارس 2012. جزء مهم من سياسة الإمارات العربية المتحدة في المنطقة مدفوع بخشيتها من صعود الإخوان المسلمين.

أنظمة عربية أخرى. ساعد "تسليح" الوهابية هذا على اجتذاب المؤمنين للالتفاف ضد الحشد الإيراني/الشيوعي لكنه حول أيضاً أزمة شرعية داخلية متفاعلة إلى أزمة خارجية⁸.

في سائر أنحاء العالم العربي، واجهت الدول أزمات مزمنة في الشرعية استناداً إلى فشلها المتكرر بالالتزام بالعقد الاجتماعي – وهو تفاهم ضمني بين الحكام والمحكومين يقبل بموجبه المحكومون بالحكم الاستبدادي للحكام مقابل الأمن، والوظائف والخدمات الأساسية (المجموعة الأولى). ويعود سبب عدم قدرتهم على تحقيق ذلك الالتزام إلى طبيعة نظام الدولة ما بعد العثمانية وكيفية تطورها، أي الاعتماد الاقتصادي على العواصم القوية (وتقلبات الاقتصاد العالمي بشكل عام)، والحكم الاستبدادي العسكري في كثير من الأحيان، الذي يتميز بممارسات غير ديمقراطية صارخة (على سبيل المثال من خلال التلاعب بالانتخابات والحكم الوراثي في الجمهوريات)، والفساد الظاهر وقمع حتى الأشكال الخفيفة من المعارضة من خلال ممارسات أمنية قائمة على المخبرين في وضع من استنزاف الموارد وارتفاع كبير في أعداد الشباب. أدبت ما يسمى بالدول الريعانية المعتمدة على مبيعات النفط في الحصول على العملات الأجنبية على استعمال المال لشراء الوقت وذلك من خلال شراء القبول، لكنها لم تتمكن من شراء الولاء.

قد تكون مثل تلك المشاكل والممارسات قد وفرت للاعبين الراديكاليين فرصاً، إلا أنها لم تكن كافية لمنحهم قاعدة جماهيرية. لقد شكلت مخصّبات لحقل من المظالم. وفر إرسال الشباب المضطرب إلى ميادين المعارك في أفغانستان استراحة مؤقتة لأنظمة متصلبة غير قادرة على إجراء إصلاحات طال أمد انتظارها. لكن عندما عاد هؤلاء المقاتلين – الذي باتوا يعرفون الآن بالأفغان العرب، كانوا قد اكتسبوا مهارات عسكرية إضافية وشعوراً بالتمكين لقناعاتهم العقائدية. علاوة على ذلك فإنهم استقبلوا استقبال الأبطال، وبوصفهم أمثلة تحتذى على المقاومة الناجحة لغزو أجنبي لبلاد المسلمين. تسبب ذلك في تصاعد حدة القمع الذي تمارسه الدولة.

المجموعة التي اغتالت أنور السادات في العام 1981 تحولت إلى الجهاد الإسلامي المصري، الذي انضم جزء منها، بقيادة أيمن الظواهري، إلى القاعدة بقيادة أسامة بن لادن وأجندتها العابرة للأوطان في أواسط تسعينيات القرن العشرين. ركزت القاعدة على إسقاط الحكام المحليين الكفار، الذين ظلوا في السلطة بفضل دعم القوى الامبريالية، بما في ذلك دعوة الولايات المتحدة للانسحاب من المنطقة ونزع شهيتها بأن تطأ بلاد المسلمين مرة أخرى. كانت الأجندة السياسية لابن لادن نسخة معدلة ومشحونة بخطاب ديني من مناهضة الاستعمار ومناهضة "الصليبيين" بعد أن كانت الأطر الأيديولوجية السابقة قد أخفقت بتوفير التحرر من الهيمنة الخارجية⁹. وفرت هذه المقاربة شرعية جديدة وجاذبية منعشة لحشد عدد صغير نسبياً من الأشخاص رغم العنف، وربما بسببه، الذي ميز أكثر هجمات القاعدة مشهدية.

في النهاية، أدى تآكل وانهيار مؤسسات الدولة واندلاع الصراع العنيف، في العراق بعد العام 2003 وفي بلدان أخرى بعد العام 2011، لتوفير الأوكسجين الذي تحتاجه المجموعات الإسلامية الراديكالية للنمو. أدى ظهور تنظيم الدولة الإسلامية لاحقاً إلى تدويل الأزمات في العراق وسورية من خلال اجتذاب التدخل الأجنبي.

هـ. المجموعة الخامسة: الانتفاضات العربية وما بعدها

شكل الزلزال الأخير، المتمثل في الانتفاضات الشعبية في العام 2011، تحدياً شعبياً على اتساع المنطقة للنظام العربي المعطل الذي تطور بشكل متقطع على مدى المئة عام السابقة. حدثت هذه الانتفاضات فجأة، كسلسلة من الأحداث المتتابعة انطلقت شرارتها في تونس في أواخر العام 2010. كان الدافع الرئيسي لهذه الأحداث شعور عميق بالظلم الاجتماعي: التصور العام للفساد الصارخ الذي ترتكبه حكومات لصوصية؛ وإدارات لا تستجيب لمطالب الناس وغير خاضعة للمساءلة (مؤسسات تكنوقراطية فاشلة)؛ ودولة بوليسية اعتبارية وتتدخل في شؤون الناس تسيطر على إصدار مختلف أنواع التراخيص الإدارية كشكل من أشكال

⁸ في مصر والسعودية ودول أخرى، وفر الإخفاق المتكرر في المحافظة على العقد الاجتماعي والجهود المستمرة لقمع المعارضة مجالاً للتفسيرات الراديكالية للإسلام بوصفه حلاً لكل المشاكل.

⁹ يستخدم الجهاديون بشكل منظم مصطلح "الصليبيين" لوصف الدول الغربية. لمراجعة أول خطاب منشور لابن لادن، انظر Osama Bin Laden, "Declaration of War against the Americans Occupying the Land of the Two Holy Places," 23 August 1996, [http://www.terrorismfiles.org/individuals/Mohammad-Mahmoud Ould Mohamedou, "The declaration_of_jihad1.html. انظر أيضاً،](http://www.terrorismfiles.org/individuals/Mohammad-Mahmoud Ould Mohamedou,) Militarization of Islamism: Al-Qā'ida and Its Transnational Challenge", *The Muslim World*, vol. 10, no. 2 (April 2011), pp. 311-312.

المطالبة بالتعاون وفرض نفسها عن طريق فرض إهانات تافهة. وقّرت الانتفاضات أملاً بإحداث تغيير اجتماعي عميق، ومن ثم زال الوهم بعد أن تبين أن التغيير تجميلي أو أسوأ. حدثت ثلاثة أمور، أحياناً بالتزامن: صعود الإخوان المسلمين بوصفهم البديل الوحيد المنظم للأحزاب والنخب السياسية الفاقدة للمصداقية؛ والتدخل الأجنبي الهادف إلى حماية الأنظمة المحاصرة أو، على العكس، لإحداث تغيير في النظام؛ وانهيار الدولة والحرب الأهلية. ثورة مضادة بمساعدة سعودية وإماراتية شهدت الإطاحة بالحكومة المنتخبة في مصر برئاسة محمد مرسي في العام 2013 ومن ثم تراجع الحركة في سائر أنحاء المنطقة وسط استقطاب محلي وعمليات قمع. ساعد تدخل دول الخليج في سورية على تحويل ثورة شعبية واجهت قمعاً وحشياً مارسه نظام مترنح إلى حرب إقليمية بالوكالة. بسبب هذه الأحداث، فإن الهزات الارتدادية القوية للانتفاضات العربية تحمل إمكانية المزيد من التقويض لنظام الدولة العربي؛ أي إذا انتشرت الفوضى بشكل يتجاوز مسارح الصراع الراهنة لتشمل مصر والأنظمة الملكية في المنطقة.

III. دوائر متراكزة

اعتباراً من 2011 فصاعداً، بدأت الصراعات المتولدة محلياً بالخروج عن نطاق السيطرة. طلب اللاعبون اللبائسون – الحكام والمعارضة – مساعدة حلفاء إقليميين أقوياء. وتمثل هؤلاء في دول المنطقة غير العربية – إيران، وتركيا وإسرائيل – إضافة إلى دول الخليج العربي، التي تدخلت في النزاع على أساس فهمها بأن هذا هو السبيل الوحيد للمحافظة على أمنها ومصالحها الاستراتيجية. السعودية، جزئياً بطبيعتها وجزئياً لأنها رأت أنها مهددة مباشرة بصعود إيران، فإنها وبالتحالف مع الإمارات العربية المتحدة اتبعت سياسة خارجية تدخلية بشكل صارخ، حتى مع دور عسكري كما في اليمن. إلا أن السعودية تواجه تحديات اقتصادية صعبة خاصة بها وأزمة شرعية لم تتم تسويتها فيما يخص عقد اجتماعي يتعرض لضغوط حادة.

لا بد من دراسة كل تدخل حسب خصائصه المميزة لتحديد ما إذا كانت القوة المتدخلة قد تصرف بشكل دفاعي أو انتحازي، رغم أنه في معظم الحالات كان هناك شيء من كلا الأمرين. تتسم التدخلات المباشرة وغير المباشرة في ليبيا، والبحرين، واليمن، وسورية، ومصر والعراق بسمات مشتركة، لكنها تختلف من نواح مهمة. ينبغي فهم التباينات بشكل سليم إذا كان لصناع السياسات أن يخرجوا باستجابات عملية تساعد على خفض التصعيد بدلاً من مفاقة الصراع الدائر.

أ. التنافسات الإقليمية

كان للاعبين الإقليميين، على وجه الخصوص، مصلحة كبيرة في التطورات، ولأفعالهم آثار مهمة. قد لا يكون هناك شيء يخشونه أكثر من حدوث فراغ في جوارهم، وقد يتم استدراجهم إلى الصراع رغم معرفتهم بسلبياته فيما يتعلق بالمنافع بعيدة المدى للتدخل. لكن حالما يتدخلون، فإن الحسابات تتغير، وحسب حظوظهم قد تشير حساباتهم إلى أن بقاءهم بعيد المدى في منطقة الصراع ليس ضرورياً وحسب بل مفيد أيضاً: لتسوية حسابات قديمة، أو الوصول إلى الموارد، أو السيطرة على ممرات وخطوط أنابيب استراتيجية، أو عقد تحالفات جديدة ومراكمة الثروة والسلطة والنفوذ.

الأكثر أهمية من الحظوظ الفعلية قد يكون تصور هذه الحظوظ: شعور بالنصر من جانب دول أو مجموعة صاعدة استناداً إلى نجاحها في الخروج من العزلة وتحقيق المكاسب (إيران وحزب العمال الكردستاني)؛ وخشية دولة ضعيفة من تصاعد قوة خصم ذو طموحات في الهيمنة (النظرة السعودية لإيران). في كلتا الحالتين، فإن الاستجابات تكون مفترطة ومدفوعة بالتصور أكثر منها بالتحليل الهادئ للتهديدات والفرص: الخاسرون يتخطون على غير هدى ويصبحون عالقين في الصراعات (السعودية والإمارات العربية المتحدة في اليمن)، بينما يتجاوز الرابحون قدراتهم ويتوجب عليهم البحث عن استراتيجية خروج مستدامة (حزب العمال الكردستاني في شمال سورية، وربما حزب الله وإيران في سورية). اللاعبون الذين يُحصرون في زاوية يقومون بتحركات يائسة، ويناشدون القوى الأكبر منهم كي تساعدهم – الولايات المتحدة في اليمن وروسيا في سورية.

بمصاحبة العمل العسكري – الذي يتخذ أحياناً شكل تقديم الدعم والمشورة العسكريين للشركاء والوكلاء المحليين – تأتي رواية تبرره تستحضر موجبات معيارية، أو ببرود أكبر، ضرورة الدفاع عن النفس. قد تبرز الرواية شعوراً بالتطويق وعقلية الحصار،¹⁰ وتنقب عن أعماق سلسلة من الحالات التي كانت فيها مجموعة ما الضحية (وربما حتى استحضار مجازر جماعية حقيقية أو متخيلة).¹¹ وتطرح مقاربة نحو الحلفاء المتشككين أو الأطراف الحيادية مفادها: إما أنكم معي أو ضدي.¹² وتكون النتيجة قدراً أكبر، وليس أقل، من الفوضى. يتم صب المزيد من الزيت على نيران الصراعات المحلية ودفعها في مسار مختلف؛ ولا يعود بالإمكان تسويتها سلمياً دون خفض التصعيد بين اللاعبين الإقليميين الذين تدخلوا في الصراع، كشرط مسبق ضروري.

¹⁰ السعودية وإيران تدعيان كلاهما بأنهما محاطتين. انظر هيلترمان، "سورية: السلطة الخفية لإيران"، مرجع سابق.

¹¹ Joost Hiltermann, "Deep Traumas, Fresh Ambitions: Legacies of the Iran-Iraq War", *Middle East Report*, January 2011.

¹² مثال نموذجي على هذا يتمثل في النزاع الذي نشأ في حزيران/يونيو 2017 بين السعودية والإمارات من جهة وقطر من جهة أخرى.

1. إيران¹³

لقد كان لدى إيران دائماً شعور بالتفوق الحضاري حيال العالم العربي. في حين تسيطر إيران على مضيق هرمز، الذي يمر من خلاله نحو 40% من الصادرات النفطية العالمية، فإن قيادتها يعد العام 1979 ترى أيضاً أن إيران محاطة بالولايات المتحدة، ودول الخليج المتخمة بأسلحة غربية قيمتها مليارات الدولارات، وإسرائيل التي تمتلك أسلحة نووية. ردت هذه الدول على التهديد الذي رآته ينبعث من الثورة الإيرانية بمحاولة الإطاحة بالنظام الجديد في طهران، أولاً بدعم الغزو العراقي لإيران في العام 1980، ومن ثم محاصرة إيران الناهضة التي أخرجت القوات العراقية وسعت لإلحاق الهزيمة بنظام صدام حسين على مدى ست سنوات أخرى حافلة بالإراقة العنيفة للدماء. وكانت النتيجة الوصول إلى مأزق. لكن محاولة صدام التالية، في العام 1990، زعزت كيان الكويت، البلد الذي كان يقرض الأموال لصدام، وأطلقت سلسلة من ردود الأفعال المتسلسلة التي تبيّن في المحصلة أن إيران المستفيد الرئيسي منها.

رداً على الحرب الإيرانية - العراقية، طورت إيران مجمّعها الصناعي - العسكري الخاص بها (الأصغر بكثير لكن الفعال للغاية) وبنّت ترسانة متنسعة من الصواريخ الباليستية وعززت تحالفاتها مع لاعبين من غير الدول، مثل حزب الله، أو قوات وكيلة لها، مثل الميليشيات الشيعية في العراق.¹⁴ هذه الأصول مضافاً إليها قدرة إيران على تخصيص اليورانيوم، وأيديولوجيتها ودعمها للمجموعات المعادية لإسرائيل والولايات المتحدة في المنطقة، شكلت السبب المحوري لتصميم الغرب على عزل إيران.

مساعدة إيران لحزب الله، ومن ثم التحالف معه، شكلت عاملاً جوهرياً فيما تسميه استراتيجية "الدفاع المتقدم" في مواجهة إسرائيل (المجموعة الثانية تتقاطع مع المجموعة الثالثة). وللمحافظة على ذلك التحالف، عززت إيران علاقتها بسورية، وأنشأت خطأ مستقراً لإرسال الإمدادات. شكلت الانتفاضة السورية في العام 2011 تهديداً مرعباً؛ فإذا تم استبدال النظام بنظام معاد لإيران، فإن طهران ستخسر وصولها السهل إلى حزب الله، ما يجعل كليهما أكثر عرضة لهجوم إسرائيلي. إلا أن دخول إيران/حزب الله في الصراع وفر أيضاً فرصة مغرية، حيث إنها رفعت من قدراتها الرادعة من خلال توسيع خط الجبهة مع إسرائيل من لبنان إلى سورية.¹⁵

من خلال دخولها العسكري في الصراع السوري وقيام إيران بتجنيد المقاتلين الشيعية من سائر أنحاء المنطقة، أسهمت إيران وحزب الله في إضفاء طابع طائفي على الحرب.¹⁶ وقامت دول الخليج وتركيا بتقديم دعم مماثل للمعارضة السورية المسلحة واستخدمت أيضاً خطاباً طائفيًا موازياً. بمرور الوقت، أصبح صراع سياسي محلي جزءاً من منافسة أكبر وذات صبغة طائفية بين القوى الإقليمية.¹⁷

في عراق ما بعد العام 2011، لم تظهر إيران اهتماماً كبيراً بعكس النظام السياسي المذهبي (والفاسد للغاية) الذي أسسته الولايات المتحدة، والذي غذته طهران في الواقع من خلال دعمها للهيمنة السياسية للأحزاب الشيعية.¹⁸ خرج الجيل الحالي من القادة الإيرانيين بصلاية أكبر ليس فقط من الثورة الإسلامية، بل أيضاً من ميادين معارك الحرب مع العراق، التي شكلت كابوساً دام ثماني سنوات لكلا الدولتين.¹⁹ الواقع هو أن هؤلاء القادة أدركوا أن إيران بحاجة لتحالف مع العراق بشكل يمنحها عمقاً استراتيجياً. ولذلك فإنهم يفضلون نظاماً سياسياً ضعيفاً وصديقاً لطهران من شأنه المحافظة على وحدة أراضي العراق، لكن

¹³ يعتمد هذا الجزء من الورقة على بحث إضافي قام به علي فتح الله - نجاد.

¹⁴ يجب المسؤولون الإيرانيون الإشارة إلى أن إيران هي الدولة الوحيدة في المنطقة التي توفر دفاعاً ذاتياً عن نفسها. مقابلات، 2015-2017.

¹⁵ تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 175، "معضلة حزب الله في سورية"، 14 آذار/مارس 2017؛ وبيان مجموعة الأزمات، "دعوة لسياسة إيطارية حيال سورية"، 27 نيسان/أبريل 2015.

¹⁶ نجحت عملية التجنيد بفضل الحجة القائلة إن الشيعة بحاجة للدفاع عن أنفسهم كطائفة ضد الانتهاكات التي يرتكبها الجهاديون السنة في سورية (وبشكل منفصل في العراق). تقرير مجموعة الأزمات، "معضلة حزب الله في سورية"، مرجع سابق، ص. 4-11.

¹⁷ التنافس الخليجي الداخلي أسهم أيضاً في انقسام المعارضة المسلحة السورية وتطرفها. انظر Aron Lund، "How Assad's Enemies Gave Up on the Syrian Opposition"، The Century Foundation، 17 October 2017.

¹⁸ في العام 2003، وفرت النية الطائفية التي أسستها الولايات المتحدة في العراق الظروف المناسبة لتشكيل حكومة خاضعة للهيمنة الإسلامية الشيعية، بدعم ليس فقط من واشنطن بل من طهران أيضاً التي استفادت منها، وهو ما لم يعجب السعودية. لمراجعة أصولها وتطورها المبكر، انظر تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 52، "الحرب العراقية المقبلة؟ الطائفية والنزاع الأهلي"، 27 شباط/فبراير 2006. لقد فشلت الرياض ولوقت طويل في فرض نفوذ سياسي في العراق؛ وأعدت فتح سفارتها في بغداد فقط في كانون الثاني/يناير 2016.

¹⁹ انظر Hiltermann، "Deep traumas"، op. cit.

نظام تستطيع إيران السيطرة عليه من خلال الطريقة المعروفة والمختبرة والمتمثلة في فرق تسد واكتساب النفوذ في أجهزة الأمن والمخابرات.²⁰ إلا أن تفضيلات طهران فاقت من الانقسامات في العراق وأسهم تجنيدها للميليشيات الشيعية بعد العام 2014 والتي انخرطت في مذابح وعمليات إخلاء قسري للسنة أثناء محاربة تنظيم الدولة الإسلامية في تنفير السكان السنة أكثر فأكثر.²¹ إيران عارضت الاستفتاء على استقلال الأكراد في أيلول/سبتمبر 2017، ودعمت الحكومة العراقية والميليشيات المدعومة من إيران في استعادة السيطرة على المناطق المتنازع عليها التي كانت تحتفظ بها حكومة إقليم كردستان. أعلن المسؤولون الإيرانيون أن إيران، بفعلها ذلك، ساعدت في المحافظة على سلامة أراضي العراق وتركيا، ومنعت "بلقنة" المنطقة.²²

مع وصول هذه الميليشيات إلى الحدود العراقية - السورية في العام 2017، حققت إيران تقدماً كبيراً في فتح ما يرى فيه أعداؤها ممراً برياً إلى البحر المتوسط من شأنه أن يعزز خط الإمداد الجوي الذي يصلها بحزب الله.²³ بدا تقدمها مدفوعاً ليس باستراتيجية متعمدة بل بفرصة سانحة، وقد لا تحقق ممراً مستقراً ومتواصلًا. علاوة على ذلك، فإن المسؤولين الإيرانيين يقولون إنهم لم يروا أن الوجود العسكري المتنامي لإيران في المنطقة يترجم إلى نفوذ سياسي أكبر. وهم ينكرون أن إيران تسعى إلى أن تصبح قوة مهيمنة، بعد أن حسبت التكاليف. لكنهم يحذرون من أن إيران لن تسمح بتكرار صعود القوى التي تعتزم مهاجمة إيران أو تعتزم توفير القاعدة لأولئك الذين يرغبون بفعل ذلك.²⁴ بصرف النظر، فإن المناورات العسكرية الإيرانية في المنطقة غذت عداءً نحو إيران تتشاطرته إسرائيل مع الولايات المتحدة والسعودية، وهذا قد يضخم أية مواجهات ناجمة عن ذلك.

لقد اعتنقت النخب الحاكمة في إيران منظورين متباينين حيال السعودية. جادل أحدهما بتحسين العلاقات على أساس فهم مفاده أن مكانة إيران العالمية يمكن أن تستفيد من الدور السعودي في أسواق الطاقة العالمية واندماجها الوثيق في النظام الدولي الذي يهيمن عليه الغرب. آخرون يرون في السعودية منافسة على المكانة الإقليمية التي تتطلع إليها إيران، منافسة ينبغي مواجهتها على أساس منطلق لعبة صفرية.²⁵ بعد انتخابه بوقت قصير في آب/أغسطس 2013، دعا روحاني إلى تعزيز العلاقات مع "صديقة وشقيقة"²⁶ إيران، وأضاف لاحقاً أن علاقات قوية بين طهران والرياض حيوية للأمن الإقليمي.²⁷ لكن بدلاً من ذلك شهدت المنطقة تنافساً متنامياً على نحو متزايد تسارع مع تفاوض مجموعة 5 + 1 - الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن + ألمانيا - على اتفاق نووي مع إيران، وأكثر من ذلك بعد وصول إدارة ترامب إلى السلطة.

على الأرض في سورية، احتفظت إيران باليد العليا، وتعززت قوتها على إثر التدخل العسكري الروسي في أيلول/سبتمبر 2015 (الذي دفع إليه التصور بأن انهيار النظام بات وشيكاً). عمقت هيمنتها شعوراً بالاستياء ومعاداة إيران في أوساط سنة المنطقة. في حين حول الصراع السوري والفوضى في العراق إيران إلى قوة عسكرية إقليمية، فإن إيران تبقى محدودة في إمكانياتها المهيمنة لأنها اختارت لعب الورقة الشيعية كتنكيك للحشد والتعبئة. السفير الأميركي السابق رايان كروكر أطلق المقولة الشهيرة بأن نفوذ إيران الشيعي/الفارسي "مفيد لذاته"، حيث يقدم البلد نفسه في عالم عربي ذو أغلبية سنية.²⁸

2. السعودية²⁹

منذ أواخر سبعينيات القرن العشرين، شهد بيت آل سعود تهديدات استراتيجيتين لشرعيته وحكمه: إيران (المجموعة الثالثة) والإسلام السياسي، بما في ذلك الإخوان المسلمين، نسخته الأكثر تنظيماً (المجموعة الرابعة). وقد كانت هذه التهديدات سياسية بشكل رئيسي؛ فهي ترى أن إيران تسعى إلى الهيمنة كقوة إقليمية عظمى، في حين يُعتقد أن الإخوان المسلمين يدعمون شكلاً جمهورياً في الحكم وحياء سياسية برلمانية،

²⁰ تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 38، "إيران في العراق: ما مدى النفوذ؟"، 21 آذار/مارس 2005.

²¹ "Marked with an 'X'", Human Rights Watch, 13 November 2016.

²² مقابلات، كانون الأول/ديسمبر 2017.

²³ انظر هيلترمان، "سورية: القوة الخفية لإيران"، مرجع سابق.

²⁴ مقابلات، كانون الأول/ديسمبر 2017.

²⁵ مقابلات، مع مسؤولين إيرانيين، طهران، 2015-2017.

²⁶ "الرئيس الإيراني: السعودية لصديقة وشقيقة"، العربية، 19 أيلول/سبتمبر 2013.

²⁷ "Iran-Saudi Arabia ties key to Mideast security: Rouhani"، Press TV, 3 March 2014.

²⁸ مقتبس في David Ignatius، "Jousting with Iran"، Washington Post, 7 November 2010.

²⁹ يعتمد هذا الجزء على أبحاث إضافية أجراها سيباستيان صنز.

وهي ملامح تفتقر إليها دول الخليج. في كلتا الحالتين كان هناك غطاء سياسي/أيديولوجي: كل منهما يتبنى تفسيراً معيناً للإسلام، وبالنسبة لكل منهما شكلت هذه وسيلة لحشد الدعم الشعبي. كما شكلت الأيديولوجيا السياسية الإيرانية القائمة على المذهب الشيعي أيضاً نقطة محورية تدفع السعودية وحلفاءها ضدها.

في سياستها واختيارها لحلفائها، توجب على السعودية تحقيق التوازن بين هذين التهديدين. وقد كان هذا ممكناً تماماً قبل العام 2011، إلا أن الانتفاضات العربية مكنت إيران والإخوان على حد سواء – بطرق مختلفة. كما أنها تسببت في تراجع جزئي للراعي الرئيسي للسعودية، الولايات المتحدة، التي باتت حريصة على تقليص أثر وجودها في المنطقة عسكرياً وسياسياً، بداية بسحب قواتها من العراق في العام 2011. من وجهة النظر السعودية والإماراتية، إذا لم تتدخل إدارة أوباما لإنقاذ حلفاء رئيسيين مثل مصر مبارك، فما الذي يمكن أن تفعله حيال دول الخليج، خصوصاً في ضوء الإشارات المستمرة إلى أن السعودية أسهمت في هجمات 11 أيلول/سبتمبر بتغذية الأيديولوجيا التي ألهمت القاعدة؟³⁰

أدى هذا إلى تعقيد المسائل إلى درجة أن القباذتين السعودية والإماراتية قررتا إجراء مراجعة جذرية لاستراتيجيتهما الإقليمية. الثورة المضادة تم ترتيبها في الرياض وأبو ظبي.³¹ قامت الدولتان بضرب الإخوان المسلمين في سائر أنحاء المنطقة وبدأتا بمواجهة إيران. إلا أنهما أخفقتا في تسوية التحدي الجوهري المتمثل في مواجهة عدوين يتطلبان استراتيجيتين مختلفتين في الوقت نفسه؛ وهذا أدى إلى تناقضات متكررة.

في البداية تحقق النجاح: في مصر، لعب الدعم السعودي والإماراتي دوراً محورياً في انقلاب 2013 الذي أطاح بحكومة محمد مرسي بقيادة الإخوان.³² أطلق خليفة مرسي، عبد الفتاح السيسي، عملية قمع عنيفة ضد الإخوان. وفي الوقت نفسه، رفض أن يكون بيدقاً في يد الخليج، معبراً عن دعمه لبشار الأسد ومحتفظاً بعلاقات جيدة مع إيران.

المأزق الذي واجهه السعوديون والإماراتيون في محاربة عدوين في الوقت نفسه كان أكثر وضوحاً في سورية. في الأيام الأولى للانتفاضة، سعى الملك عبد الله إلى تعديل سلوك الأسد، وأصدر بياناً داعماً له. في آب/أغسطس 2011، كان الملك قد يأس منه، فأدان العنف وساهم بشكل فعال في الجهود الرامية لإزاحة النظام، الذي رأى فيه على نحو متزايد دمية في يد إيران (المجموعة الخامسة تتقاطع مع المجموعة الثالثة). قدمت السعودية الأسلحة والأموال للمعارضة السورية المسلحة لانتزاع سورية من الحزن الإيراني و "إعادتها إلى الصف العربي". إلا أنها دعمت فقط أولئك الذين تناقشوا مع المجموعات المتحالفة مع الإخوان، التي كانت تتلقى دعماً تركيا وقطرياً.³³ أحدثت هذه المقاربة أثراً عكسياً؛ إذ مكن التنافس بين مجموعات المعارضة المسلحة والوسائل الوحشية في الحرب التي استخدمها النظام على نحو متزايد إلى تمكين الفرع السوري للقاعدة، جبهة النصرة، من الصعود ومن ثم صعود تنظيم الدولة الإسلامية. بعد ذلك قلصت القيادة السعودية من دعمها لمجموعات المعارضة السورية المسلحة، خشية أن يعود هؤلاء المقاتلون إلى ديارهم ليكرروا ما كانوا يفعلونه في سورية.³⁴ كما كان السعوديون منشغلين بالحرب في اليمن وأدركوا أن المعادلة في سورية كانت قد تغيرت مع التدخل الروسي في أيلول/سبتمبر 2015 والمكاسب التي حققها النظام في أعقاب ذلك. أخيراً، في تموز/يوليو 2017، أزال قرار ترامب بإيقاف البرنامج السري لدعم المعارضة المسلحة الذي كانت تقدمه المخابرات المركزية الأميركية الغطاء السياسي وجزءاً كبيراً من البنية التحتية لتنسيق تسليم المعارضة المسلحة المدروسة، وهو البرنامج الذي كان قائماً منذ العام 2014.

³⁰ Simon Henderson, "What We Know About Saudi Arabia's Role in 9/11", *Foreign Policy*, 18 July 2016.

³¹ Guido Steinberg, "Leading the Counter-revolution: Saudi Arabia and the Arab Spring", *Stiftung Wissenschaft und Politik* (2014).

³² مقابلة مع مسؤول سعودي رفيع، الرياض، أيار/مايو 2017.

³³ "Saudi-Backed Jarba Defeats Qatar's Point Man in Syria Opposition", *Middle East Online*, 6 July 2013.

³⁴ حدثت هجمات على المساجد الشيعية في القطيف والدمام منذ العام 2015؛ وحدث هجوم رئيسي في الوقت نفسه في جدة، والمدينة والرياض في تموز/يوليو 2016. انظر أيضاً Elizabeth Dickenson, "Playing with Fire: Why Private Gulf Financing for Syria's Extremist Rebels Risks Igniting Sectarian Conflict at Home", *Brookings Institution*, 6 December 2013.

يمكن القول إن أداء السعودية والإمارات كان أسوأ في استجابتهما للأزمة اليمنية التي تكشفت في العامين 2014 و2015، عندما دخل المتمردون الحوثيون إلى العاصمة وأطاحوا بحكومة عبد ربه منصور هادي، التي كانت في السلطة منذ اتفاق ما بعد العام 2011 الذي تم التوصل إليه بوساطة مجلس التعاون الخليجي (المجموعة الخامسة). في ذلك الوقت، نظرت دول الخليج برعب متزايد إلى احتمال التوصل إلى اتفاق ناجح بين إيران ومجموعة 5 + 1 الذي من شأنه تقليص البرنامج النووي الإيراني مقابل رفع العقوبات الدولية والسماح تالياً لإيران بالعودة إلى سوق الطاقة والاندماج تدريجياً في المجتمع الدولي. من منظور سعودي، فإن مجموعة 5 + 1 كانت تعطي لإيران تقويضاً مطلقاً لإطلاق العنان لحرسها الثوري في المنطقة. وكان دليلها على ذلك الدعم الإيراني للأسد والحوثيين، اللذين اعتبرتهما وكيلين ل طهران.

لتهدئة حلفائها الخليجين وأيضاً لإحباط أي محاولة لتقويض فرص نجاح الاتفاق، سعت إدارة أوباما لطمأنة الرياض وأبو ظبي بتقديم بعض الدعم لتدخلهما العسكري في آذار/مارس 2015 في اليمن بهدف إعادة هادي إلى السلطة.³⁵ بمشاركةتهما في الحرب، ترتب على السعوديين والإماراتيين كلفة مالية كبيرة، دون احتمال تحقيق النصر على الأرض أو على طاولة المفاوضات، بينما واجهتا إدانة دولية على جرائم حرب مزعومة وعلى كارثة إنسانية تسبب بها الحصار المحكم.³⁶ وفي الوقت نفسه، بدا تضخمهما لدور إيران وكأنه نبوءة تحققت نفسها؛ فكلما أكدتا على أن الحوثيين كانوا وكلاء لإيران وكلما رفعا من حدة الحرب في اليمن رداً على ذلك، كلما استفادت إيران وبمرور الوقت وبمساعدة حزب الله، زادت من دعمها للحوثيين على شكل المزيد من التدريب والمزيد من الأسلحة المتطورة. إلا أنه لا يزال هناك افتقار للأدلة على وجود دعم خارجي كبير للحوثيين.³⁷

وفر انتخاب دونالد ترامب للسعوديين والإماراتيين فرصة لتعزيز علاقتهم مع الولايات المتحدة وحاولت كلتاها بشدة صياغة أجندة الإدارة الجديدة. وأتى قرار ترامب في أيار/مايو 2017 الذهاب إلى الرياض في أول زيارة خارجية له ليؤكد صحة جهودهما. شعر السعوديون والإماراتيون بالمزيد من الجراءة فصعدوا خطابهم ضد إيران، ومن ثم فرضوا مقاطعة دبلوماسية وتجارية على حليفهم الاسمية قطر، متهمين إياها بـ "دعم الإرهاب"، خصوصاً من خلال قناة الجزيرة.³⁸ سرعان ما تطور النزاع، الذي تركز على دعم قطر للإخوان، إلى مأزق (المجموعة الرابعة). يمكن لكلفة ذلك أن تكون مرتفعة؛ إذ يمكن للوحدة الهشة لمجلس التعاون الخليجي، الذي يربط الأنظمة الملكية في الخليج، أن تفوّض بشكل لا يمكن إصلاحه، في حين استفادت طهران من خلافات خصومها بتعزيز نفوذها في العراق وسورية.

الأخطاء الإقليمية والصراعات الداخلية على السلطة في أواخر 2017 فرضا على السعودية والإمارات العثور على طريقة تحفظ ماء الوجه للخروج من حرب اليمن، التي باتت تكاليفها تستنزف احتياطياتهما المالية. وبدا أن استراتيجيتهما تتمثل في جر الولايات المتحدة بشكل أكبر إلى الصراع كوسيلة لتحويل المأزق إلى نصر، أو على الأقل إلى تسوية تفاوضية بشروطهما.³⁹ داخلياً، كان ينبغي لوعود ولي العهد محمد بن سلمان بإجراء إصلاحات اقتصادية، وتعزيز الحريات الاجتماعية ووضع حد للفساد على

³⁵ تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 167، "اليمن: هل السلام ممكن؟"، 9 شباط/فبراير 2016. ³⁶ Bruce Riedel, "Saudi Arabia's mounting security challenges", *Al-Monitor*, 28 December 2015; Sebastian Sons, "Der Junge schafft das nicht", *Zenith*, Winter 2015, pp. 34-35; UN Security Council, Letter dated 27 January 2017 from Panel of Experts on Yemen to President of Security Council, S/2017/81, 31 January 2017; and "The State of the World Human Rights", Amnesty International, 2017; Crisis Group Middle East & North Africa Briefing N°52, *Instruments of Pain I: Conflict and Famine in Yemen*, 13 April 2017; and "UN leaders appeal for immediate lifting of humanitarian blockade in Yemen – lives of millions are at risk", World Health Organization, 16 November 2017.

³⁷ Mareike Transfeld, "Iran's Small Hand in Yemen", Carnegie Endowment, 14 February 2017; "الحوثيون ليسوا حزب الله، فورين بوليسي، 27 شباط/فبراير 2017. في تشرين الأول/أكتوبر 2017، ذكرت وكالة أنباء رويترز أن تقريراً سرياً للأمم المتحدة زعم أن بقايا صواريخ بالستية أطلقها الحوثيون على السعودية تبدو وكأنها صممت وصنعت في إيران. Colum Lynch, "U.N. Panel Finds Evidence of Iranian Hardware in Yemeni Rebels' Missile. And American", *Foreign Policy*, 8 December 2017.

³⁸ Shireen Hunter, "Saudi ambitions threaten to inflame Middle East", *Loblog*, 8 June 2017; Marc Lynch, "How Trump's alignment with Saudi Arabia and the UAE is inflaming the Middle East", *Washington Post*, 7 June 2017.

³⁹ Crisis Group Commentary, "A Huthi Missile, a Saudi Purge and a Lebanese Resignation Shake the Middle East", 10 November 2017. تعليق لمجموعة الأزمات، 6 كانون الأول/ديسمبر 2017. "مقتل الرئيس السابق صالح قد يزيد حرب اليمن سوءاً"،

المستويات العليا أن تنفذ منذ وقت طويل، لكنها تأتي الآن بمخاطرة كبيرة؛ حيث يمكن أن تثير أعداء أقوياء في أوساط رجال الدين المحافظين وداخل العائلة المالكة.

3. تركيا⁴⁰

تركيا، التي كانت في فترة معينة متوجهة نحو أوروبا ولم تكن سوى متفرج (حذر) في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، تحولت خلال أقل من عقد بقليل من الزمن إلى لاعب طموح من الوزن الثقيل في المنطقة. بسبب سلسلة من الحسابات الخاطئة استجابة لأحداث متسارعة خارجة عن سيطرتها – الانتفاضات العربية – خسرت تركيا تقريباً كل ما كانت قد كسبته من علاقات سياسية وتجارية. بحلول أواخر العام 2017، وجدت نفسها بعيدة عن حلفائها في حلف شمال الأطلسي، وخاضعة للهيمنة الروسية في تعاملاتها الإقليمية وتعاني من استقطاب داخلي متزايد.

ينبع النمو الاقتصادي المذهل لتركيا من النصر الانتخابي في العام 2002 لحزب العدالة والتنمية بقيادة رجب طيب أردوغان، الذي انطلق لقيادة البلد أولاً كرئيس للوزراء، ومن ثم كرئيس للبلاد. تجمع أيديولوجيا الإخوان المسلمين التي يتبناها حزب العدالة والتنمية المبادئ الإسلامية مع الممارسات السياسية التشاركية واقتصاد السوق الحر. يصور زعماء حزب العدالة والتنمية ونخبة الفكرية المحافظة القريبة من الحكومة تركيا على أنها القائد الطبيعي للأمم الإسلامية، وينظرون إلى حدود البلاد مع العراق وسورية على أنها ظرف مصطنع (المجموعة الرابعة). في الوقت نفسه، فإن أردوغان وأنصاره تمثلوا داخلياً رؤية كمالية (نسبة إلى كمال أتاتورك) لدولة قوية قادرة على ردع الأعداء الداخليين والخارجيين والتغلب عليهم.⁴¹

تتمثل إحدى التحديات الداخلية الرئيسية التي تواجهها تركيا، وهو التحدي الذي يشكل تهديداً لسلامة أراضيها ويربط مصيرها بمصير جيرانها، في المسألة الكردية (المجموعة الأولى). منذ ثمانينيات القرن العشرين فصاعداً، وفي أعقاب تأسيس حزب العمال الكردستاني، انطوى ذلك على خوض معارك شرسة مع انفصاليين عنيديين تفصلها فترات هدوء مضملة وحتى محاولات مترددة للتواصل مع الطرف الآخر. لقد كان الصراع، وهو في عقده الرابع الآن، مكلفاً للغاية ومضراً بجميع الأطراف، وخصوصاً المدنيين.⁴²

مباشرة بعد وصوله إلى السلطة في العام 2002، وجه حزب العدالة والتنمية السياسة التركية الخارجية نحو جيرانها، بما في ذلك منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ألقى الاقتصاد. وهذا سمح لتركيا بتنصيب نفسها مرتبة النظام في المنطقة. كان ذلك جوهر سياسة "صفر مشاكل" التي عبر عنها أحمد داوود أوغلو، الأكاديمي الذي انتقل من مستشار لأردوغان للسياسة الخارجية ليصبح وزيراً للخارجية، ومن ثم رئيساً للوزراء خلال سنوات أوج توسع الاقتصاد التركي.⁴³ وكمكون مهم لما أشار إليه البعض على أنه "عثمانية جديدة" ناشئة،⁴⁴ اعتقدت تركيا أن يوسعها تحويل شعبيتها الجديدة، وقوتها الاقتصادية وشبكاتها الإقليمية المتنامية إلى عضلات دبلوماسية تستخدم في تسوية الصراعات.⁴⁵ إلا أن المنظور الأيديولوجي المستوحى من عقيدة الإخوان المسلمين التي تبناها حزب العدالة والتنمية سرعان ما أنتجت تناقضات في جهودها لصنع السلام، وبحلول العام 2011 كانت استراتيجيتها الإقليمية قد أصبحت في حالة من الخراب والخراب.

⁴⁰ يعتمد هذا الجزء على أبحاث إضافية أجراها ديميتار بيتشيف. نشرت نسخة أطول من هذا البحث في *Turkish Policy Quarterly*, Fall 2017.

⁴¹ حول دمج الإسلام السياسي بالقومية التركية، بما في ذلك تراث "النظرة القومية" (*Millî Görüş*) التي يعود حزب العدالة والتنمية بجذوره إليها، انظر Jenny White, *Muslim Nationalism and the New Turks* (Princeton, 2014).

⁴² انظر Berkay Mandracı, "Turkey's PKK Conflict Kills almost 3,000 in Two Years", Crisis Group commentary, 20 July 2017.

⁴³ استخدم أحمد داوود أوغلو تعبير "البلد مرتب النظام" في كتابه "العمق الاستراتيجي: الموقع الدولي لتركيا". (*Strategic Depth: Turkey's International Position*, Istanbul, 2001).

⁴⁴ حول العثمانية الجديدة كعقيدة في السياسة الخارجية، انظر Ömer Taşpınar, "Turkey's Middle East Policies: Between Neo-Ottomanism and Kemalism", Carnegie Papers, No. 10, Washington (September 2008).

⁴⁵ Simon Waldman and Emre Çalıřkan, *The New Turkey and Its Discontents* (Oxford, 2016); and Ibrahim Kalın, "Turkey's foreign policy in 2011: an assessment", in Dimitar Bechev (ed.), *What Does Turkey Think*, European Council on Foreign Relations (2011), pp. 51-57.

ثم وجه إخفاق الإخوان في الاستفادة من الانقفاصات الشعبية في سائر أنحاء المنطقة ضربة قاتلة إلى هذه الاستراتيجية. في مصر، أطاح الجيش، بدعم من السعودية والإمارات العربية المتحدة، بالحكومة التي قادها الإخوان في تموز/يوليو 2013؛ فردت تركيا بقطع العلاقات الدبلوماسية. في تونس، التي رأت التحذيرات من حولها، استقالت حكومة النهضة بشكل استباقي، ووافقت على استبدالها بحكومة انتقالية يقودها التكنوقراط ومن ثم التوصل إلى ترتيبات لتقاسم السلطة مع قوى علمانية.⁴⁶ في سورية، تمسك الأسد بالسلطة، ما تطلب من تركيا متابعة الاستثمار في معارضة مسلحة لم تتوقف عن الانقسام والتحول إلى التطرف، في حين قوضت السعودية والإمارات دعم تركيا وقطر لفصائل المعارضة المتحالفة مع الإخوان. الاتفاق النووي الإيراني الذي تم التوصل إليه في العام 2015 قلص قيمة تركيا بالنسبة لطهران بوصفها جسراً إلى الغرب (وكذلك كوسيلة للالتفاف على العقوبات). وكان الأثر الناجم عن اجتماع هذه العوامل، كما علق كثيرون، أن تركيا انتقلت من صفر مشاكل مع الجيران إلى صفر جيران بدون مشاكل. في سورية – حيث كانت الرهانات بالنسبة لتركيا مرتفعة بما لا يقارن – تعرضت طموحات تركيا لإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا للانهايار الأكثر دراماتيكية. واجهت تركيا تحدياً ثلاثياً: من حزب العمال الكردستاني، الذي كان أعضاؤه في سورية يستغلون الفراغ في الشمال لاقتطاع كيان للحكم الذاتي على طول الحدود التركية؛⁴⁷ ومن تنظيم الدولة الإسلامية، الذي نشأ من مشهد المعارضة السورية المسلحة المدعومة من تركيا وشن في عامي 2015 و2016 هجمات متكررة على الأراضي التركية راح ضحيتها مئات الأشخاص؛ ومن 3.2 مليون لاجئ سوري (مسجل)، الذين كان ينبغي توفير السكن والرعاية لهم.⁴⁸

شكل التهديد المزدوج من حزب العمال الكردستاني (المجموعة الأولى) ومن تنظيم الدولة الإسلامية (المجموعة الرابعة) معضلة معقدة على نحو خاص. شعرت تركيا بأن حزب العمال الكردستاني يشكل الخطر الأكبر؛ حيث إن الحزب كان قد بنى قوة هائلة من مقاتلي حرب العصابات وكان يسعى إلى إجراء تحولات سياسية في جنوب شرق تركيا، إن لم يكن الانفصال عن تركيا.⁴⁹ أدى انهيار وقف إطلاق النار بين تركيا وحزب العمال الكردستاني في تموز/يوليو 2015 إلى حدوث تصعيد حاد في القتال في المدن الكردية جنوب شرق تركيا وإلى تبني مقاربة عسكرية تركية أكثر عدوانية حيال حزب العمال الكردستاني والمجموعات التابعة له في سورية والعراق.⁵⁰ في حين لم تتحالف أنقرة مع تنظيم الدولة الإسلامية، فإنها استفادت من وجود التنظيم في سورية، حيث حارب مقاتلوه النظام (لكنهم حاربوا أيضاً فصائل أخرى في المعارضة السورية المسلحة) وهاجموا منطقة الحكم الذاتي الكردية. تسبب استيلاء تنظيم الدولة الإسلامية في تشرين الأول/أكتوبر 2014 على مدينة كوباني الكردية الحدودية إلى رد عسكري من وحدات حماية الشعب الكردية – التابعة لحزب العمال الكردستاني – والمدعومة أميركياً رغم المعارضة التركية القوية لكن غير المثمرة في النهاية؛ إذ إن أنقرة لم تكن ترغب بروية حزب العمال الكردستاني يحقق مكاسب عسكرية على حدودها الجنوبية ومراكمة سمعة جيدة له لدى الغرب بفضل هذه العملية.⁵¹

في مطلع العام 2015، رأت تركيا بارقة أمل في أن الأسد يمكن أن يسقط، إلا أن التدخل العسكري الروسي في أيلول/سبتمبر وضع حداً لأي احتمال بتغيير النظام في دمشق. الأسوأ من ذلك، وبعد أن أسقط سلاح الجو التركي طائرة روسية مقاتلة، فرض الكرملين عقوبات شديدة على تركيا، وعكس بذلك ما كان حتى

⁴⁶ Issandr El Amrani, "Tunisia's National Dialogue Quartet Set a Powerful Example", Crisis Group Commentary, 10 October 2015.

⁴⁷ تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 176، "خيار حزب العمال الكردستاني المنذر بالسوء في شمال سورية"، 4 أيار/مايو 2017.

⁴⁸ "Number of Syrian refugees in Turkey reaches 3,2 million", *Daily Sabah*, 4 October 2017. أيضاً Crisis Group Europe & Central Asia Report N°241, *Turkey's Refugee Crisis: The Politics of Permanence*, 30 November 2016.

⁴⁹ مقر حزب العمال الكردستاني في سلسلة جبال قنديل في شمال العراق، وله قواعد على طول الحدود العراقية التركية. لمراجعة المزيد حول أيديولوجيا حزب العمال الكردستاني، انظر تقرير مجموعة الأزمات، "خيار حزب العمال الكردستاني المنذر بالسوء"، ص. 3-5.

⁵⁰ للمزيد حول انهيار المحادثات، انظر Crisis Group Europe Briefing N°77, *A Sisyphean Task? Resuming Turkey-PKK Peace Talks*, 17 December 2015.

⁵¹ في النهاية سمحت تركيا بنقل مقاتلي البشمركة الأكراد من شمال العراق إلى كوباني. الجزيرة، 29 تشرين الأول/أكتوبر 2014. كما قدمت الولايات المتحدة لهم أسلحة ثقيلة من خلال هذا الممر بعد أن وعد البرزاني والولايات المتحدة تركيا بأنه لن يتم تمرير الأسلحة إلى حزب العمال الكردستاني أو فرعه في سورية، وحدات حماية الشعب. *Rudaw*, 25 October 2014.

ذلك الحين علاقة اقتصادية مستقرة.⁵² صدّت القوة المجتمعة لروسيا، وإيران وحزب الله، وما تبقى من الجيش السوري، بقوة المعارضة المسلحة المدعومة من تركيا. مع توسيع وحدات حماية الشعب سيطرتها في الشمال، سعيًا منها لوصول مناطق شرق الفرات مع عفرين شمال حلب، أدرك أردوغان أنه ما من خيار أمامه سوى التصالح مع موسكو وإعادة الانخراط مع إيران. بالمقابل، تلقى موافقة ضمنية على نقل قوات عسكرية ووحدات من الجيش السوري الحر إلى سورية (عملية درع الفرات التي أطلقت في آب/أغسطس 2016)، ظاهرياً لمقاتلة تنظيم الدولة الإسلامية لكن فعلياً لوقف محاولة وحدات حماية الشعب فرض سيطرتها على كامل الحدود البالغ طولها 900 كم.⁵³ بالتعاون مع روسيا، توسّطت تركيا لاستسلام المعارضة المسلحة في شرق حلب في كانون الأول/ديسمبر ورعت عدة جولات من محادثات السلام التي أطلقتها موسكو في أستانة، مع إيران كشريك في الرعاية.

بعد سنة، كان دور تركيا في سورية قد تقلص كثيراً. في آب/أغسطس 2017، اتفقت مع روسيا على تأسيس منطقة خفض تصعيد بمراقبة مشتركة في محافظة ادلب، التي كانت قد وقعت تحت السيطرة الحصرية تقريباً لهيئة تحرير الشام (جبهة النصرة سابقاً)، فرع القاعدة الذي يظهر بمظهر المستقل. بدا أن انخراط أنقرة مدفوع باحتمال احتواء الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني، ووحدات حماية الشعب، في عفرين بقدر ما هو مدفوع بالرغبة لمنع تدفق موجة جديدة من اللاجئين إلى تركيا نتيجة هجوم مستقبل للناظم على إدلب. كان أمل أنقرة الوحيد أن يتم ربط المساعدات العسكرية الأميركية لوحدة حماية الشعب بالقتال ضد تنظيم الدولة الإسلامية. مع اقتراب هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية في أواخر العام 2017، قد تكون أنقرة أملت بأن واشنطن ستقطع، أو على الأقل ستقلص دعمها،⁵⁴ لكن إدارة ترامب أشارت إلى أنها قد تستمر بالمحافظة على وجودها وحلفائها في شمال سورية على الأقل لمدة عام أو عامين، وربما أكثر.⁵⁵

في العراق، بالكاد كانت حظوظ تركيا أفضل. اجتذب استيلاء تنظيم الدولة الإسلامية على المناطق العربية السنية في حزيران/يونيو 2017، بما فيها مدينة الموصل، الميليشيات الشيعية العراقية – بعضها يتلقى التمويل والتدريب والعتاد من إيران – إلى شمال العراق، وهي منطقة نفوذ تركية تقليدية. ما جعل الأمور أسوأ كان قيام حزب العمال الكردستاني أيضاً بتحقيق اختراقات في شمال العراق، متحدياً الحزب الديمقراطي الكردستاني، حليف تركيا، بدخوله إلى سنجار. في الحملة التي قادتها الولايات المتحدة لانتزاع السيطرة على الموصل من تنظيم الدولة الإسلامية، لم تكن تركيا أكثر من متفرج. تلقت علاقة أنقرة بالحزب الديمقراطي الكردستاني بعد العام 2008، والتي مكنت إقليم كردستان من الاندماج في الاقتصاد التركي، ضربة شديدة في أيلول/سبتمبر 2017 بقرار الرئيس مسعود البرزاني إجراء استفتاء على الاستقلال رغم اعتراضاتها القوية.⁵⁶ تبع ذلك فرض عقوبات، لكن الأكثر أهمية هو أن أنقرة أغضت عينها عن تحرك قوات الأمن العراقية لاحقاً مدعومة بالميليشيات الشيعية المدعومة من إيران لاستعادة السيطرة الأحادية على المناطق المتنازع عليها (الأراضي الواقعة على الحدود بين المناطق ذات الأغلبية الكردية والمناطق ذات الأغلبية العربية)، بما في ذلك كركوك وحقلها النفطية. شكّلت هذه التطورات كارثة استراتيجية لتركيا، التي رأت استثماراتها على مدى ما يقارب العقد من الزمن في شريك كردي بدا وكأنه يمكن الركون إليه تنهار بين ليلة وضحاها بينما يحسن خصمها المتمثل في إيران من موقعه

⁵² Selin Girit, "Turkey faces big losses as Russian sanctions bite", BBC News, 2 January 2016. انظر أيضاً، Dimitar Bechev, *Rival Power: Russia's Influence in Southeast Europe* (Yale, 2017), chapter 5.

⁵³ تقرير مجموعات الأزمات، "خيار حزب العمال الكردستاني المنذر بالسوء"، مرجع سابق؛ و Lund, "How Assad's Enemies Gave Up", op. cit.

⁵⁴ "Trump tells Turkish president U.S. will stop arming Kurds in Syria", *Washington Post*, 24 November 2017.

⁵⁵ مقابلات مع مسؤولين أميركيين، تشرين الأول/أكتوبر – تشرين الثاني/نوفمبر 2017.

⁵⁶ في يوم إجراء الاستفتاء في أيلول/سبتمبر 2017، ذهب أردوغان إلى حد تحذير البرزاني من أنه إذا لم "يتراجع الأكراد عن هذا الخطأ في أقرب وقت ممكن، سيسجل التاريخ بأنهم ألحقوا بأنفسهم العار لجرّهم المنطقة إلى حرب إثنية ووطنية". مقتبس في Martin Chulov, "Iraq: Kurdish leader Barzani claims win in independence referendum", *The Guardian*, 26 September 2017.

الاستراتيجي في العراق.⁵⁷ لكن بدا أنها مستعدة لتحمل التكاليف إذا تمكنت من وقف التحرك الكردي نحو الاستقلال، الشاغل المهيمن لها.⁵⁸

نظراً إلى كون تركيا جزءاً من المنطقة دون أن تنتمي إليها – إذا استخدمنا عبارة تشرشل عن موقع بريطانيا في أوروبا – فإنها نجحت منذ وقت طويل بالعيش مع الصراعات في جوارها دون تحمّل تكاليف باهظة. منحها تقديم نفسها كطرف ثالث محايد، على الأقل في البداية، في الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني (المجموعة الثانية) وفي مواجهة إيران مع الغرب (المجموعة الثالثة) منحها مكانة إقليمية كوسيط لتحقيق السلام، حتى لو رأى البعض في الغرب أن تركيا تتخلى عن تحالفها القوي مع الغرب. كان التحول السني نحو الراديكالية في المنطقة (المجموعة الرابعة) بمثابة هبة لحزب العدالة والتنمية في بداية حكمه؛ حيث أكسبه الشرعية في عيون الغرب بصفته حزباً "إسلامياً معتدلاً" في وقت كان فيه منخرطاً في صراع حياة أو موت مع "الدولة العميقة" الكمالية. إلا أن الانتفاضات العربية والعنف الذي تبعها (المجموعة الخامسة) فككت الصرح الذي كان قادة حزب العدالة والتنمية قد بنوه في المنطقة. معظم الرهانات التي اتخذها الحزب، بداية من أواسط العقد الأول من الألفية لكن وخصوصاً اعتباراً من العام 2011، ارتدت عليها. التحدي الذي تواجهه تركيا اليوم يتمثل في استعادة التوازن في علاقاتها الإقليمية وخصوصاً منع أي تداعيات سلبية ناشئة عن الصراعات والفراغ في سورية والعراق، وإيجاد السبل لمعالجة التوترات المتنامية مع واشنطن واضطرابات الداخلية التي تزداد سوءاً.

4. إسرائيل⁵⁹

شكلت الانتفاضات العربية تهديدين رئيسيين للمصالح الإسرائيلية تمثلها في عدم إمكانية التنبؤ وعدم الاستقرار الناجمين عن التواتر السريع للأحداث؛ وصعود عدوينا إيران وحزب الله في حالات الفراغ التي انفتحت مع انهيار الدول العربية أو عندما أصبحت محاصرة، خصوصاً كما هو الحال في سورية. لم يكن هناك صلة واضحة بين الانتفاضات والصراع العربي الإسرائيلي (المجموعة الثانية)، لكن إسرائيل كانت قلقة حيال استقرار شركائها العرب في السلام، الأردن ومصر. على عكس الانطباعات العامة (التي تعززت بالأبحاث التي أجرتها مجموعة الأزمات وآخرين) بأن الاحتجاجات كانت عفوية ومنيعة بعناد على أي شكل من أشكال التنظيم،⁶⁰ فإن القيادة الإسرائيلية رأت أن الإخوان المسلمين هم القوة الدافعة الرئيسية وراءها.⁶¹

بالنظر إلى انتفاضة ميدان التحرير من هذه الزاوية، فإن التصور الإسرائيلي المهيمن كان يعتبره تهديداً. وبالفعل، ما من أحد في الحلقة المحيطة برئيس الوزراء بنيامين نتانياهو رأى في الأحداث فرصة كبيرة، لكنهم كانوا يأملون بأنها ستساعد في صرف الاهتمام العالمي عن القضية الفلسطينية.⁶² لم تكن استقالة مبارك في مصلحة إسرائيل، لكن قادتها تشجعوا عندما تولى المجلس الأعلى للقوات المسلحة زمام الأمور لتخفيف حدة الضغوط الشعبية، ومن وجهة نظرهم، ضمان "استمرار نفس الطغمة الحاكمة".⁶³ جادل مسؤولو النسق الأول في إسرائيل باستمرار بأن الإخوان لن يصبحوا أكثر اعتدالاً إذا استلموا السلطة، وكرروا الشيء نفسه عندما حدث ذلك، ولا زالوا يكررونه.⁶⁴

⁵⁷ إحاطة مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 55، "النفط والحدود: كيفية تسوية الأزمة الكردية في العراق"، 17 تشرين الأول/أكتوبر 2017.

⁵⁸ لاستقلال أكراد العراق أنصاره في تركيا، لكنهم خسروا أمام خصومهم بعد أن عادت تركيا وحزب العمال الكردستاني إلى الاقتتال في العام 2015 وتبين أن الحزب الديمقراطي الكردستاني غير قادر على احتواء خصمه الكردي. مقابلة مع محلل تركي، تشرين الثاني/نوفمبر 2017.

⁵⁹ يعتمد هذا الجزء على أبحاث إضافية أجراها عوفر زالزيرغ.
⁶⁰ تقرير الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 101، "الاحتجاجات الشعبية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط"، 24 شباط/فبراير 2011. Nathan Brown, When Victory Becomes an Option: Egypt's Muslim Brotherhood Confronts "Success", Carnegie, January 2012.

⁶¹ مقابلة مع وزير من حزب الليكود، القدس، 1 آذار/مارس 2011.
⁶² مقابلات مع وزيرين في الحكومة الإسرائيلية، وكذلك مع مسؤولين عسكريين واستخباراتيين وفي وزارة الخارجية، القدس، آذار/مارس – أيار/مايو 2011.

⁶³ مقابلة مع أحد وزراء الليكود، القدس، 1 آذار/مارس 2011.

⁶⁴ "عندما يطرح الزوار الأجانب فكرة أن الإخوان قد يصبحون أكثر اعتدالاً في السلطة، [فإن الميجر جنرال] عاموس جلعاد [المسؤول الإسرائيلي الأول فيما يتعلق بالعلاقة مع مصر بحكم منصبه كمدير لشؤون السياسات والشؤون السياسية – العسكرية في وزارة الدفاع] يهاجمهم بشدة". مقابلة مع مسؤول عسكري، تل أبيب، نيسان/أبريل 2013. أحد أعضاء مجلس الأمن القومي

الشاغلان الإسرائيليان الرئيسيان في مجال السياسات حيال مصر كانا سينا و غزة. في غزة، تعلمت إسرائيل أن مصلحة الدولة المصرية في ألا ينتهي الأمر بالقطاع تحت مسؤوليتها يتجاوز أي تقارب أيديولوجي بين مرسى وحماس.⁶⁵ بالفعل، فإن مرسى توسط في وقف لإطلاق النار بين حماس وإسرائيل في حرب غزة في العام 2012 بشكل بالكاد حسن من وضع حماس.⁶⁶ عندما أطاح المشير عبد الفتاح السيسي بمرسى في تموز/يوليو 2013، فرض قيوداً جديدة على السفر بين غزة ومصر وشرع بإغراق أو تدمير الأنفاق التي كانت تشكل خط الحياة التجارية لسكان غزة في ظل حصار إسرائيلي مستمر، لكن التي اعتبرتها مصر ممرات للأسلحة والمسلحين.

في سيناء، تمثلت الشواغل الرئيسية لإسرائيل في الهجمات المتكررة للمسلحين على خطوط الأنابيب التي تنقل الغاز لإسرائيل والأردن، والسياحة الإسرائيلية (التي توقفت في العام 2011 مع تضاعف أعداد الهجمات الجهادية) وتهريب الأسلحة إلى غزة.⁶⁷ بالكاد هدأت هذه المخاوف بعد تولي السيسي السلطة. عزى قادة إسرائيل فشل السيسي في القضاء على جهادي سيناء إلى انعدام الكفاءة أكثر مما عزوه للافتقار إلى الإرادة أو المصلحة، وزادت إسرائيل دعمها العسكري للسيسي بنشر طائرات مسيرة فوق سيناء.⁶⁸ يبدو أن التمرد متجذر بشكل أكثر عمقاً حيث استفاد من الاستياء من عقود من الإهمال المصري.⁶⁹ هجوم جهادي على مسجد في سيناء في تشرين الثاني/نوفمبر 2017 أكد هذا الوضع.⁷⁰

أما بالنسبة لسورية، فإن القادة الإسرائيليين ابتهجوا في البداية للانتكاسة التي واجهها نظام الأسد، حليف إيران. لكن حالما تحولت الاحتجاجات الشعبية إلى صراع عنيف وظهرت المجموعات الجهادية لاستغلال الفوضى، فإن أي شعور بأن ثمة فرصة مواتية تحول إلى فزع من رؤية سورية – العدو الرسمي لكن الجار المستقر والذي كان من الممكن التنبؤ بتحركاته على مدى سنوات – تسقط فريسة لخصمين ديناميين: إيران/حزب الله والقاعدة/تنظيم الدولة الإسلامية.⁷¹ وكانت اللازمة الشائعة التي تتردد في تل أبيب: "لا تجعلونا نختار بين الكوليرا والطاعون. إننا نكره الاثنين ونريد القضاء على الخطرين".⁷² إلا أن إسرائيل اندفعت دبلوماسياً للتحذير من أية جهود لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية تشارك فيها إيران كشریک.

على الأرض في سورية، وقفت إسرائيل على الحياد طالما لم يتجاوز أحد خطوطها الحمر والمتمثلة في امتداد العنف إلى إسرائيل، وتقديم صواريخ دقيقة التصويب بعيدة المدى من إيران إلى حزب الله عبر سورية وأي محاولة من قبل إيران و/أو حزب الله لتأسيس وجود هجومي كبير في منطقة القنيطرة.⁷³ في أعقاب التدخل العسكري الروسي في أيلول/سبتمبر 2015 لإنقاذ نظام الأسد المترنح، رأت إسرائيل سورية تتجرف أكثر فأكثر إلى أيدي إيران وحزب الله، حيث موسكو ليست أكثر من وسيط محتمل وغير مؤكد. تمثلت مخاوف إسرائيل الرئيسية في احتمال إقامة قاعدة بحرية إيرانية على المتوسط (مما سيجعل منصات الغاز الإسرائيلية والتجارة البحرية لإسرائيل عرضة للهجوم)، وتكاثر القواعد العسكرية لإيران/حزب الله في سورية واحتمال إقامة جسر بري من طهران إلى بيروت لتكملة الممر الجوي القائم.⁷⁴ رداً على ذلك، أرسلت إسرائيل إشارات تحذيرية للنظام السوري على شكل ضربات جوية ضد أهداف لإيران وحزب

الإسرائيلي قال إن الإخوان حركة "إسلامية استبدادية" ينبغي "ضربها، وفي النهاية هزيمتها". مقابلة أجريت في القدس، أيار/مايو 2015.

⁶⁵ مقابلات مع وزير ليكودي، ومسؤول عسكري، القدس وتل أبيب، تشرين الثاني/نوفمبر 2012.

⁶⁶ تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 133، "إسرائيل وحماس: النار ووقف إطلاق النار في الشرق الأوسط الجديد"، 22 تشرين الثاني/نوفمبر 2012.

⁶⁷ مقابلة مع مسؤول عسكري، تل أبيب، آب/أغسطس 2013.

⁶⁸ مقابلات مع مسؤول استخباراتي غربي، تل أبيب، أيلول/سبتمبر 2015؛ ومع مسؤول عسكري إسرائيلي، تل أبيب، تشرين الأول/أكتوبر 2015.

⁶⁹ تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 61، "مسألة سيناء المصرية"، 30 كانون الثاني/يناير 2007.

⁷⁰ "Egypt mosque attack death toll climbs above 300"، CNN، 26 November 2017.

⁷¹ مقابلات مع وزير ليكودي ومع مسؤول عسكري، القدس، تشرين الثاني/نوفمبر 2012.

⁷² مقابلة أجريت مع مسؤول رفيع في وزارة الخارجية، القدس، تشرين الثاني/نوفمبر 2012.

⁷³ مسؤول في وزارة الخارجية ضالع في تصميم السياسة قال إن إسرائيل وضعت هذه الخطوط الحمر كجزء من استراتيجية أوسع نطاقاً لضمان اثنين من مصالحها العليا: مواصلة السيطرة على مرتفعات الجولان وضمان استقرار الأردن ولبنان. مقابلة مع مسؤول في وزارة الخارجية، القدس، تشرين الأول/أكتوبر 2016.

⁷⁴ مقابلة مع مسؤول عسكري، تل أبيب، نيسان/أبريل 2017.

الله،⁷⁵ ورفعت من انخراطها الدبلوماسي مع موسكو في محاولة للحد من الوجود العسكري لخصومها وتأثيرهم على الأسد، لكن دون نجاح واضح.

كانت إحدى النقاط الساخنة المهمة في جنوب سورية، حيث تشمل المعادلة ليس فقط حزب الله/إيران وإسرائيل، بل أيضاً الأردن، الجار الذي لإسرائيل معه معاهدة سلام ولديهما علاقات استخباراتية وثيقة. في أيلول/سبتمبر 2017، رسم المشاركون في محادثات السلام في أستانة حدود أربع "نقاط خفض تصعيد"، بما في ذلك واحدة قرب مرتفعات الجولان التي تحتلها إسرائيل. إذا انفصل جنوب سورية – بموجب أي سيناريو سوري – فإن الأردن، الهش أصلاً، سيتأثر سلباً. ولهذا السبب مارس نتنياهو ضغوطاً نسبياً للنفس في الحرم الشريف (المجموعة الثانية): وبات يفقد مدى حساسية الوضع لملك الأردن عبد الله في لحظة عدم استقرار إقليمية خطيرة.⁷⁶

في المنطقة بشكل عام، يرى القادة الإسرائيليون أربعة "معسكرات": معسكر تقوده إيران يشمل حزب الله، والأسد والمليشيات الشيعية العراقية، ومعسكر جهادي يضم القاعدة، وتنظيم الدولة الإسلامية والمجموعات الشبكية؛ ومعسكر الإخوان المسلمين الذي يضم تركيا، وقطر والأحزاب المرتبطة بالإخوان في سائر أنحاء المنطقة (بما فيها حماس)؛ وما يسمى المعسكر البراغماتي العربي السني، الذي يشمل السعودية، ومعظم دول مجلس التعاون الخليجي، ومصر، والأردن وإسرائيل نفسها.⁷⁷ تعتبر إسرائيل المعسكرات الثلاث الأولى معادية (رغم علاقتها الطويلة لكن المتوترة مع تركيا⁷⁸). ينتم المعسكر الرابع بالهشاشة. وإسرائيل عضو فيه فقط إلى الحد الذي تتشاطر فيه مع أعضائه معارضة الهيمنة الإقليمية الإيرانية. هذا، وحقيقة أن الدول العربية لا تتحمل أن ينظر إليها على أنها متحالفة مع إسرائيل، يجعل أية أنشطة إسرائيلية مشتركة مع "شركائها" العرب حصرًا في إطار رد الفعل وأن تكون استباقية، وسرية في العادة.⁷⁹

في العام 2017، قررت السعودية، التي أصبحت أكثر جرأة بفضل الدعم العلني من إدارة ترامب، تصعيد المواجهة مع إيران وحلفائها الإقليميين. في تشرين الثاني/نوفمبر، أعلن رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري استقالته في الرياض، لا شك تحت الضغط (إذ حالما تمكن من العودة إلى بيروت، عاد عن قراره)، في تحرك فسر على أنه محاولة سعودية لعزل حزب الله.⁸⁰ إلا أن هذا بالكاد حضر الأرضية لمحاولة إسرائيلية لإخضاع حزب الله. تنزع إسرائيل لوضع أجندتها الخاصة في لبنان وتقرر توقيت أفعالها. كانت الاستخبارات الإسرائيلية تراقب على نحو وثيق محاولات حزب الله بناء منشآت تحت الأرض لتصنيع صواريخ دقيقة التصويب – أحد خطوطها الحمر – وتبدو راضية حتى الآن عن أن العمل مجهد في الوقت الراهن. لا يمكن استبعاد ضربة إسرائيلية استباقية ضد حزب الله، لكن ذلك سيفرضه ما يتصور على أنه انتهاك لأحد خطوطها الحمر.

حتى الآن تصرف حزب الله بضبط للنفس في وجه المناورات السياسية السعودية في لبنان وأحجم عن القيام باستفزازات في غير أوانها في الوقت الذي لا يزال فيه العديد من مقاتليه عالقين في سورية.⁸¹ يتوقع القادة الإسرائيليون خوض حرب أخرى مع حزب الله في النهاية لكن يبدو أنهم يفضلون الانتظار إلى أطول مدى ممكن.⁸² حتى الآن، تكتفي إسرائيل بالوقوف موقف المتفرج، لكنها متيقظة بشكل مفرط، ومستعدة للانقضاض عند شعورها بأي تهديد لمصالحها الجوهرية.

⁷⁵ "Israeli PM threatens Syria over Iranian presence", BBC Monitoring, 27 November 2017.

⁷⁶ إحاطة مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 48، "كيفية المحافظة على الهدوء الهش في الحرم القدسي الشريف"، 7 نيسان/أبريل 2016.

⁷⁷ Eran Lerman, "The Game of Camps: Ideological Fault Lines in the Wreckage of the Arab State", System, Begin-Sadat Center for Strategic Studies, 21 September 2016. المؤلف ليرمان كان نائب رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي في ظل حكومة رئيس الوزراء نتنياهو في الفترة 2009-2016.

⁷⁸ أقلية فقط في القيادة الإسرائيلية ترى في اتفاق المصالحة مع تركيا في حزيران/يونيو 2016 في أعقاب حادثة "مافي مرمرة" في أيار/مايو 2010 أكثر من مجرد لصاقه على جرح متفحج. مقابلة مع مسؤولين عسكريين واستخباراتيين وفي وزارة الخارجية، القدس وتل أبيب، كانون الثاني/يناير 2017.

⁷⁹ أحد وزراء الليكود قال إن نتنياهو كان قد زار الرياض في أواخر العام 2015. مقابلة، القدس، آذار/مارس 2016؛ لم يتمكن من التحقق من هذا الادعاء. في الرياض، وجدت ابتهاجاً في أعقاب زيارة ترامب في أيار/مايو 2017 لإقامة علاقات أكثر ودية مع إسرائيل من أجل مواجهة إيران، شريطة اعتراف إسرائيل بفلسطين مستقلة. مقابلات، الرياض، أيار/مايو 2017.

⁸⁰ تعليق لمجموعة الأزمات، "صاروخ حوثي"، مرجع سابق.

⁸¹ المرجع السابق.

⁸² مقابلات، القدس وتل أبيب، 2017.

ب. اللاعبون الخارجيون والتدخلات الخارجية

لقد ظل افتقار المنطقة للوحدة عند ولادتها السمة الرئيسية لوجودها المضطرب، مع اجتذاب انقساماتها المزيد من التدخلات الأجنبية التي تولد بدورها المزيد من الانقسامات، وكذلك الصراعات. المنطقة، التي تتسم بشكل عام بغناها بالموارد وفقرها بالمؤسسات (مع شيء من التفاوت بين الدول المختلفة)، لم تتمكن من تحاشي وصد الهيمنة والاستغلال الخارجيين. القوى الخارجية من جهتها لها مصالح عديدة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: استقرارها، ومواردها النفطية والغازية، وتحالفات الدول المختلفة خلال فترة تنافس القوى العظمى (على سبيل المثال خلال الحرب الباردة)، وأسواقها وأحياناً منتجاتها وقواها العاملة.

تتفاعل التدخلات مع الصراعات في المجموعات المختلفة، ما يضيف إلى تعقيدها في كثير من الأحيان، بشكل متعمد أو غير متعمد، وتساعد في كسر الحدود الرسمية بينها. وينبغي فهم دورها والأثر الذي تحدثه على تطور الصراعات من مناظير الدول المتدخلة/المقدمة وكذلك الدول المستهدفة. لقد حدث تدخل خارجي من قبل الدول بأشكال عديدة: صلب/عسكري وناعم/مدني، وتراوح من الأمن إلى التنمية، إلى المساعدات الإنسانية أو الانخراط الدبلوماسي. كما يمكن أن يحدث التدخل من خلال مبيعات الأسلحة، بما في ذلك من خلال المزودين الخاصين. جميع هذه الأشكال تطفلية واقتحامية، رغم أنها تختلف بشكل كبير من حيث الأثر. بعضها مفروض؛ وبعضها يتم بدرجة من القبول أو حتى بالدعوة، وقد تنطوي على درجة من المشاركة والشراكة. لكن في الأغلب، فإن جميعها مدفوعة بشكل رئيسي بالمصالح الذاتية للدول المتدخلة؛ والأطراف المتلقية تعتبر حتى تدخلاً مفيداً جداً لمصالحها جزءاً من جهد عربي (بشكل رئيسي) لتقسيم المنطقة (لضمان السيطرة) أو تهديتها (لتيسير استخراج الموارد)، لكن المنفعة قصيرة الأمد تتجاوز مخاوفهم بعيدة المدى.

"الشراكات" المصممة بعناية وفي كثير من الأحيان بنية طيبة تكون متساوية رسمياً لكنها نادراً ما تكون كذلك في الواقع، حيث يمسك اللاعب الخارجي بالتمويل وبوضع الشروط. وتتشكل التفاعلات بعلاقة غير متوازنة للقوى بحكم طبيعتها.⁸³ يمكن لعدم فهم هذه الحقيقة الجوهرية أن يؤدي إلى حالات سوء فهم خطيرة وردود في السياسات سيئة التصميم والتصور عندما تتردى الأوضاع. علاوة على ذلك، فإن العمل العسكري خارج إطار استراتيجية سياسية تأخذ في الاعتبار تحقيق الاستقرار والحوكمة في مرحلة ما بعد الصراع سيجعل الأمور أسوأ.

1. الولايات المتحدة

منذ ورثت الولايات المتحدة الملف الغربي المتعلق بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا، تدريجياً، من المملكة المتحدة وفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية، وهي تضطلع بدور الشرطي الدولي للمنطقة، وتوكل بعض مسؤولياتها المفترضة، على طريقة المقاتلة من الباطن لحلفائها المحليين. وقد تمثلت مصالحها الاستراتيجية الرئيسية في أمن الطاقة لها ولحلفائها، والدفاع عن إسرائيل (المجموعة الثانية). وكان سقوط الأنظمة وتغير التحالفات يفرض تعديلات مستمرة، وفي بعض الأحيان، عمليات سرية أو تدخلاً عسكرياً إما للإطاحة بالأعداء أو لدعم الحلفاء (المجموعة الأولى). في تسعينيات القرن العشرين، مع تحييد العراق، باتت الولايات المتحدة وإسرائيل تنظران على نحو متزايد إلى القوة الصاعدة لإيران وطموحاتها النووية كتهديد رئيسي (المجموعة الثالثة).

أجبرت هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر الولايات المتحدة على تعديل مقاربتها اتجاه المنطقة (المجموعة الرابعة). وتمت عسكرة ملاحقة مرتكبي الهجوم منذ البداية، أولاً في أفغانستان، ثم في العراق. كانت المفارقة أن القاعدة لم توجد في العراق إلا بعد احتلال الولايات المتحدة له. عندها ظهرت القاعدة في العراق بقيادة أبو مصعب الزرقاوي، الذي كان لهجمات على الشيعة أثر كبير في إطلاق حرب طائفية (2005-2008).⁸⁴

كان لغزو العراق تبعات غير مقصودة مهمة؛ حيث أدى إلى تمكين إيران - من خلال إزاحة أحد الخصوم العرب - السنة المناهضين لإيران، وإجراء انتخابات أوصلت إلى السلطة أحزاب إسلامية شيعية صديقة لإيران، وفشل الولايات المتحدة في تحقيق الاستقرار في البلاد - وفي المحصلة تقسيم العراق.

⁸³ انظر، على سبيل المثال، دعوات إيران المتكررة إلى أن تعامل بكرامة واحترام من قبل القوى الخارجية. خطاب وزير الخارجية جواد ظريف، مؤتمر الحوار المتوسطي 2017، روما، 30 تشرين الثاني/نوفمبر 2017.
⁸⁴ تقرير مجموعة الأزمات، "الحرب العراقية المقبلة"، مرجع سابق.

تجربة الولايات المتحدة الكارثية في العراق دفعت الرئيس باراك أوباما، الذي كان قد عارض الغزو عندما كان عضواً في مجلس الشيوخ ومرشحاً رئاسياً، لإعادة تقييم سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. بدأ بالسعي للتوصل إلى تسوية في الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني (في محاولة سرعان ما انهارت)، وتواصل خطابياً مع "العالم الإسلامي" لإبصال رفضه لفكرة "صدام الحضارات"⁸⁵، وسحب القوات الأميركية من العراق في العام 2011، وسعى إلى التوصل إلى اتفاق لمعالجة برنامج إيران النووي. إلا أنه سرعان ما بدد جزءاً كبيراً من النوايا الطيبة التي خلقها، على الأقل في أوساط شباب المنطقة الذين سعوا لإحداث تغيير جذري، عندما ظل خاملاً في وجه الانتفاضات الشعبية في العام 2011 (المجموعة الخامسة)، وعلق بين فكي الكماشة المتمثلين في وجوب وقوفه مع حلفاء الولايات المتحدة من جهة والتعاطف مع مطالب المحتجين من جهة أخرى.⁸⁶ في ليبيا، اكتفت الولايات المتحدة بـ "القيادة من الخلف"، وتركت المملكة المتحدة وفرنسا لاستلام زمام الأمور سياسياً، رغم أنها ظلت محورية عسكرياً لجهود حلف شمال الأطلسي لحماية المدنيين من قوات معمر القذافي، وفي المحصلة إزاحة نظامه.⁸⁷

عندما قمعت الانتفاضات أو تحولت إلى حرب أهلية، كان موقف الولايات المتحدة على نحو متزايد أنها لا تريد أن تُجر إلى نزاعات المنطقة إذا لم تتعرض مصالحها الاستراتيجية للخطر. وبعثت بإشارات مفادها أنها لن تتخلى عن حلفائها، لكنها لم تكن مستعدة أيضاً لخوض معاركهم نيابة عنهم.⁸⁸ حلفاء الولايات المتحدة قرأوا ذلك بشكل مختلف، خصوصاً عندما أطلقت واشنطن (سراً في البداية) مفاوضات في سياق 5 + 1 مع إيران حول برنامجها النووي بعد انتخاب الرئيس حسن روحاني في أواسط عام 2013. السعودية والإمارات وإسرائيل، بشكل خاص، رأوا في هذا خيانة لكل ما عناه تحالفهم مع الولايات المتحدة، وقاموا بمحاولات حثيئة لتقويض المحادثات. قدمت الولايات المتحدة، جزئياً لتهدئة السعودية والإمارات، الدعم العسكري لمغامرتهم المشتركة في اليمن اعتباراً من آذار/مارس 2015 فصاعداً. وتم الوصول بالمفاوضات النووية إلى خاتمة ناجحة بعد أقل من ثلاثة أشهر، في مثال مذهل على قوة الدبلوماسية متعددة الأطراف في تسوية مشاكل معقدة ذات تداعيات عالمية.⁸⁹

الحرب في سورية ألحقت ضرراً بالغاً بمكانة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. بعد أن أعطت إشارات إلى رغبتها برحيل بشار الأسد بعد تجارب تونس ومصر وليبيا، شجعت الولايات المتحدة حلفاءها على تسليح وتدريب المعارضة السورية، ولعبت دوراً مماثلاً هي نفسها. لكن تبين أن هذا الدعم غير كافٍ لإسقاط النظام، وبدلاً من ذلك دفع داعمي الأسد إلى التصعيد. ونظراً لأنها لم تر مصلحة أميركية استراتيجية على المحك، حيث إن نظام الأسد لم يشكل تهديداً خارجياً، فإن واشنطن وقفت غالباً موقف المتفرج. مع تعاضد الفظاعات التي ارتكبتها النظام، رسم أوباما خطأ عند استخدام الأسلحة الكيميائية. عندما تجاهل النظام الخط الأحمر الذي وضعته الولايات المتحدة، تردد أوباما، ومن ثم اختار تفكيك برنامج الأسلحة الكيميائية في سورية بدلاً من توجيه ضربات عسكرية يمكن القول إنها ما كانت لتحدث أكثر من أثر رمزي.⁹⁰ بالنسبة لحلفاء الولايات المتحدة، كان هذا دليلاً آخر على عدم إمكانية الركون إلى أوباما، فتحولوا ضده. ظلت المبادرات الدبلوماسية لوضع حد للقتال محاصرة بالنظر إلى أن جميع الأطراف فقدت الأمل في أنها يمكن أن تنتصر في صراع دائم التحول. في النهاية، في أيلول/سبتمبر 2015، مع ازدياد ضعف النظام، تدخلت روسيا عسكرياً لحماية حليفها، ومنع "تغيير النظام" من خلال عملية تقودها الولايات المتحدة، الأمر الذي كانت تخشى أن من شأنه أن يهدد إحكام قبضة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على السلطة في موسكو، وزيادة نفوذها في الفراغ المتسع الذي كانت الولايات المتحدة قد تركته في الشرق الأوسط.

في المحصلة، فإن الشاغل الأميركي الرئيسي في سورية أصبح صعود المجموعات الجهادية في فوضى الحرب الأهلية، خصوصاً المجموعات ذات الأجندات العابرة للأوطان. ملاحقة جبهة النصرة، فرع

⁸⁵ وفعل ذلك في خطاب شهير في القاهرة في بداية رئاسته. *The New York Times*, 4 June 2009. "Text: Obama's speech in Cairo", *The New York Times*, 4 June 2009.

⁸⁶ Marc Lynch, "Obama and the Middle East", op. cit.

⁸⁷ "Nato operations in Libya: data journalism breaks down which country does what", *The Guardian*, 22 May 2011; Thom Shanker and Eric Schmitt, "Seeing limits to 'new' kind of war in Libya", *The New York Times*, 21 October 2011.

⁸⁸ Aaron David Miller, "A Defense of Obama's Middle East 'Balancing Act'", *Foreign Policy*, 15 August 2016.

⁸⁹ Crisis Group Statement, "The Triumph of Nuclear Diplomacy", 14 July 2017.

⁹⁰ لمراجعة تفسير أوباما لسبب رده بالطريقة التي فعل، انظر Jeffrey Goldberg, "The Obama doctrine", *The Atlantic*, April 2016.

القاعدة، وكذلك المجموعة التي انشقت عنها، تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (التي شكلت انبعثاً جديداً للقاعدة في العراق بقيادة الزرقاوي)، أدخلت الولايات المتحدة عسكرياً وبشكل مباشر في الحرب السورية. أدى اختيارها لحلفائها في هذه الحرب - الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني، وحدات حماية الشعب، وليس الجيش التركي - إلى توتر العلاقات الأميركية - التركية؛ حيث كانت الأولوية القصوى لتركيها محاربة حزب العمال الكردستاني، وليس تنظيم الدولة الإسلامية. كان هذا هو الوضع عشية دخول دونالد ترامب إلى البيت الأبيض. بعد نحو عام من إدارته، لا تزال سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا غير واضحة. لكن يبدو أن ثمة استمراراً في الرغبة بمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة - في سورية، واليمن ومناطق أخرى - وتشدداً في الموقف الأميركي حيال إيران وتبني لهجة عنصرية نارية. لقد أشارت الإدارة الجديدة إلى نيتها تحجيم التأثير المتنامي لإيران في المنطقة، وهي مقاربة لقيت تشجيعاً حاراً من قبل إسرائيل والسعودية والإمارات، ولتفويض الاتفاق النووي الإيراني، ربما بإثارة أزمة مع إيران. يبدو أن السعودية، بشكل خاص، حصلت على تفويض مطلق.⁹¹ شكلت أزمة قطر في حزيران/يونيو 2017 نتيجة مباشرة لحماسة الزعماء السعوديين التي أوقظت من جديد تحالفهم مع واشنطن، لكنها خلقت تناقضات في التحالفات الخليجية الأخرى وهددت بانحياز مجلس التعاون الخليجي، ذات المنظمة التي تم تأسيسها كجبهة عربية مشتركة ضد تعديت إيران. في سورية، ساعد غياب تفاهم مشترك بين الولايات المتحدة وروسيا حول كيفية إنهاء الحرب في ضمان الفشل المتكرر للمبادرات التي جرت بوساطة الأمم المتحدة. ربما لم يكن مثل ذلك التفاهم كافياً أصلاً، لكنه كان بالتأكيد ضرورياً لإنهاء الحرب. في العام 2017، أطلقت روسيا وتركيا وإيران مساراً تفاوضياً منفصلاً (عملية "أستانة")، بغياب الولايات المتحدة تقريباً.

شكل غزو العراق في العام 2003 والفوضى التي نشأت في أعقابها بداية نهاية نظام القطب الواحد المرتكز إلى الولايات المتحدة الذي كان قد صاغ الأحداث في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا خلال الخمسين عاماً التي سبقتة. الطبيعة تكره الفراغ، وكذلك السياسة الدولية. المساحة التي تركت فارغة بسبب الانسحاب النسبي للولايات المتحدة من المنطقة شجع جملة من اللاعبين الطموحين لإطلاق مغامرات عسكرية في المنطقة. هذه المغامرات ستزيد من تعقيد عملية خفض التصعيد التي تحتاجها المنطقة بشكل ملح.

2. روسيا⁹²

روسيا، التي كانت غير مرئية تقريباً في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بعد الحرب الباردة باستثناء موطئ قدم عسكري ثانوي في سورية يستند إلى علاقة قديمة ومستمرة مع نظام الأسد، عادت بقوة في أيلول/سبتمبر 2015. أدى تدخلها في سورية إلى عكس المسار المتهاوي للنظام، ومنح روسيا دوراً جديداً بارزاً ليس في سورية وحسب بل ربما في المنطقة بأسرها. لكن مع كل الحديث عن عودة الحرب الباردة، فإن روسيا لا تمتلك القدرة ولا الإرادة لتحل بشكل كامل محل الولايات المتحدة بوصفها الحكم الرئيسي في صراعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا؛ وفي حين أن نفوذها يتنامى، لكنه على الأرجح سيظل محدوداً.

للسياسة الدولية الروسية في ظل حكم الرئيس فلاديمير بوتين ثلاثة دوافع رئيسية: المحافظة على النظام، وكبح جماح التبعديت الغربية (الولايات المتحدة/الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي) على فضاء الاتحاد السوفييتي السابق واستعادة مكانة القوة العظمى ولو رمزياً كوسيلة لشرعنة النظام وربما لصرف الانتباه عن الظروف الاقتصادية في الداخل. اليوم، ترضى روسيا بالتعامل مع أي جهة؛ حيث إن صفقات أسلحتها في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تشمل جميع أنحاء المنطقة.⁹³

أحد الدوافع الرئيسية للسياسة الروسية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (وفي مناطق أخرى أيضاً). يتمثل في مقاومة فكرة "تغيير الأنظمة" المدفوعة أميركياً. المسؤولون الروس يعززون الفوضى الراهنة في شمال أفريقيا إلى فشل الدول الغربية في المحافظة على أنظمة، مهما كانت استبدادية، فإنها على الأقل كانت

⁹¹ لم تضع الولايات المتحدة أي قيود على الإطلاق على أفعال السعودية في اليمن، ولم تتمكن من إقناع الرياض بعكس مسارها في المواجهة مع قطر، ووقفت على الحياد عندما ضغط السعوديون على رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري كي يستقيل (في تشرين الثاني/نوفمبر 2017).

⁹² يعتمد هذا الجزء على أبحاث إضافية أجراها ديميتار بينتشف.

⁹³ عدة بلدان في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تعد مستوردة رئيسية للأسلحة روسية الصنع: سورية، والجزائر، وإيران، ومؤخراً العراق ومصر، وثمة إمكانية لتوسيع المبيعات إلى الخليج. علاوة على ذلك، فإن تدخل روسيا العسكري في سورية وفر فرصة لاختبار واستعراض أسلحتها بظروف المعركة. Leonid Bershidsky, "Syrian war gives Russia a chance to test weapons", Bloomberg, 15 October 2015; and Nikolay Kozhanov, "Arms Exports Add to Russia's Tools of Influence in Middle East", Chatham House, 20 July 2016.

تضمن بشكل مشترك الاستقرار الإقليمي.⁹⁴ الأمر الأكثر حساسية من وجهة نظرهم، سواء في أوروبا الشرقية أو الشرق الأوسط وبصرف النظر عما إذا كان ناجماً عن التدخل العسكري أو عن انتفاضات شعبية منظمة أو ميسرة، فإن أثر الدومينو قد يصل في النهاية إلى موسكو.⁹⁵ ولذلك فقد أُرعبهم خلال عام 2011 سقوط حسني مبارك، ورأوا فيه نتيجة لمكائد إدارة أوباما وليس نتيجة عفوية لانقفاضة شعبية.⁹⁶ وكانت تساورهم الشكوك على نحو خاص من الدعوات الغربية للتدخل العسكري في ليبيا نيابة عن المدنيين المحاصرين في بنغازي تحت عنوان "مسؤولية الحماية"، وأحجمت عن السماح به أو إقراره. لقد ندمت على قرارها بعدم منع التدخل في مجلس الأمن، بعد أن رأت أن السبب المعلن أصبح ذريعة لإزاحة معمر القذافي، الزعيم الليبي الزئبقي، بالقوة بأيدٍ غربية.⁹⁷

أثرت التجربة الليبية بعمق باستجابة روسيا للأزمة السورية، التي بلورت هذه الحجج. كان لاستراتيجية روسيا عدة أهداف: دعم الأسد وبالتالي منع "تغيير النظام" بدفع من الولايات المتحدة؛ واكتساب النفوذ في وجه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي في أعقاب أزمة أوكرانيا كوسيلة لرفع العقوبات؛ واستعادة ما فقدته في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، والذي خسرتة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، واستعادة مكانة القوة العالمية الكبرى إذا أمكن؛ ومحاربة الجهاديين، الذين هاجر عدد منهم إلى سورية من شمال القوقاز لمحاربة نظام الأسد وتأسيس خلافة، والذين قد يعودون إلى وطنهم فيما بعد للقتال ضد حكاهم في موسكو.⁹⁸

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، استخدمت الحكومة الروسية عدة أدوات: حق الفيتو في مجلس الأمن لمنع القرارات التي تدين نظام الأسد؛ وإمدادات الأسلحة (بما فيها أنظمة دفاع جوي متقدمة) والمشورة العسكرية للأسد؛ وإرسال قواتها العسكرية، في أيلول/سبتمبر 2015، عندما بدا أن النظام قد لا يتمكن من البقاء بالاعتماد على قواته وحدها. لكن منذ البداية، وأخذة بالاعتبار دروس تدخلها في أفغانستان، كانت موسكو حذرة من "مهمة تتطور على عكس الشكل الذي خطط لها" ومن التزام مفراط قد يمنعها من الخروج دون خسائر كبيرة وهزيمة سياسية. لقد اقتصرت بشكل رئيسي على تقديم الدعم الجوي لقوات الأسد وحلفائها، بالاعتماد على آخرين (إيران، وحزب الله، وميليشيات مختلفة والنظام نفسه) الذين يقدمون القوات البرية.⁹⁹

انتصارات روسيا العسكرية وضععتها في مقعد القيادة. لقد كانت قواتها الجوية حرة التصرف بالطريقة التي تراها مناسبة؛ في حين كانت طائرات التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة تهاجم جهادي تنظيم الدولة

⁹⁴ مقابلة مع مسؤول روسي، موسكو، آذار/مارس 2016.

⁹⁵ Pavel K. Baev, "Russia's Counter-Revolutionary Stance toward the Arab Spring", *Insight Turkey*, Vol. 13, No. 3 (2011), pp. 11-19.

⁹⁶ مقابلة مع مسؤول روسي، موسكو، شباط/فبراير 2016. ادعى المسؤول أن هذه كانت وجهة نظر الأغلبية في أوساط فريق الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في وزارة الخارجية، بما في ذلك السفراء الروس العاملين في المنطقة. حتى أولئك في موسكو الذين يقررون بالجدور الشعبية للانقفاضة لا زالوا يجادلون بأن أوباما، بإحجامه عن دعم مبارك مع ترشح حكمه، سارع في سقوط الزعيم المصري، ما أدى إلى فترة من الفوضى وحكم الإخوان المسلمين، وهي مجموعة بغیضة على الغرائز العلمانية للزعامة الروس، وأطلقت العنان لقوى الفوضى التي من المستحيل السيطرة عليها. مقابلة مع مسؤول روسي، موسكو، آذار/مارس 2016.

⁹⁷ Dmitri Trenin, "Russia's Line in the Sand on Syria: Why Moscow Wants to Halt the Arab Spring", *Foreign Affairs*, 5 February 2012. انظر أيضاً "Who said Gaddafi had to go?", *London Review of Books*, 17 November 2011. وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، أشار إلى هذا صراحة مرة أخرى في كانون الأول/ديسمبر 2017. خطابه في مؤتمر الحوار المتوسطي في روما، 1 كانون الأول/ديسمبر 2017.

⁹⁸ أهداف روسيا في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا واردة في مقال Angela Stent, "Putin's Power Play in Syria", *Foreign Affairs*; (Jan/Feb 2016), pp. 106-113. سورية لكنها تقدم رواية قوية للجمهور المحلي. مقابلات، موسكو، شباط/فبراير 2016. لقد وفر صعود النزعة الجهادية في سورية والعراق فرصة لتصدير الجهاديين المحليين ومحاربتهم بعيداً عن روسيا. حالياً، قد يكون هناك نحو 7,000 مقاتل من شمال القوقاز وآسيا الوسطى في الشرق الأوسط؛ وبعضهم وصل إلى مناصب عليا في تنظيم الدولة الإسلامية. "North Caucasian fighters in Syria and Iraq and IS propaganda in Russian language", Europol Counter Terrorism and (declassified). EU Internet Referral Unit, The Hague, September 2015. لكن يمكن لسياسة روسيا في تصدير الجهاديين أن تنعكس عليها وعلى تركيا أيضاً. ذكر أن تفجير نيسان/أبريل 2017 للمتر في سان بطرسبرغ نفذه أوزبكستاني مولود في قرغيزستان كان قد رحل إلى روسيا من تركيا. كما أن هجوم حزيران/يونيو 2016 ضد مطار أناتورك في اسطنبول نفذ من قبل مجموعة تضم أشخاصاً من الاتحاد الروسي وأوزبكستان وقرغيزستان. بعض أو جميع منفذي هذه الهجمات كانوا قد قضاوا وقتاً مع تنظيم الدولة الإسلامية في سورية. انظر Crisis Group Europe and Central Asia Report N°238, *The North Caucasus Insurgency and Syria: An Exported Jihad?*, 16 March 2016.

⁹⁹ إحاطة مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 47، "خيار روسيا في سورية"، 29 آذار/مارس 2016.

الإسلامية وهيئة تحرير الشام،¹⁰⁰ فإن روسيا كانت تهاجم المعارضة المسلحة والجهاديين على مختلف انتماءاتهم. نظام الأسد، الذي كان قد خسر مناطق واسعة في الشهور السابقة، بما في ذلك في إدلب، استعاد المبادرة العسكرية. وبمرور الوقت، اكتسبت روسيا اليد العليا على الجبهة الدبلوماسية أيضاً، وتجاوزت الولايات المتحدة وانخرطت في محادثات مع إيران وتركيا، ولكلا القوتين مصالح مباشرة في حصيلة الحرب أكثر من موسكو. بعد هجوم مدمر على شرق حلب الذي تسيطر عليه المعارضة المسلحة، أشرف هذا الثلاثي على استسلامها لقوات الأسد في كانون الأول/ديسمبر 2016 وأطلق محادثات سلام في العاصمة الكازاخية أستانة، في مصادفة على مكانة روسيا الجديدة.¹⁰¹

شكلت هذه إنجازات كبيرة للقيادة الروسية رغم أنها لم تحقق كل أهداف روسيا. كي تكون قوة عالمية محترمة، فإن روسيا بحاجة لسلام في سورية بشروطها. في حين أنها دعمت محادثات السلام، بل أطلقتها، فإنها لم تقدم دليلاً على أن بوسعها إشراك النظام، ناهيك عن إجراء تحولات فيه. نظراً لأن القيادة السورية تعرف أن روسيا لا ترغب بسقوط النظام، فإنها تتمتع بنفوذ كبير على القوة الراعية لها.¹⁰² كما أن روسيا قد تجد، بعد أن أصبحت تتولى زمام القيادة، أن وجودها ينطوي على مسؤوليات، مثل منع حدوث مواجهة بين إيران/حزب الله وإسرائيل في جنوب سورية.

خريطة طريق موسكو المفضلة لسورية تتمثل في ترتيب تقاسم أعباء حيث تبقى روسيا مسؤولة عن الأمن، وتدعم الأمم المتحدة جهود الوساطة التي تقودها روسيا نحو تسوية سياسية ويتولى الاتحاد الأوروبي ودول الخليج إعادة الإعمار.¹⁰³ وتواجه ثلاثة تحديات إضافية؛ يتمثل الأول في علاقتها مع إسرائيل بالنظر إلى القوة العسكرية المتنامية لحزب الله وإيران، والتي تعتبرها تل أبيب تهديداً وشيكاً وتعتمد على موسكو للتخفيف من حدته.¹⁰⁴ لا يزال من غير الواضح ما إذا كانت روسيا ستكون مiale إلى ذلك، لكن يبدو أنها حريصة على تعزيز علاقاتها مع إسرائيل، التي يعيش فيها نحو 1.5 مليون ناطق بالروسية من سائر أنحاء الاتحاد السوفييتي السابق.¹⁰⁵ يدعي المسؤولون العسكريون الروس أن روسيا تقدم أسلحة لحزب الله فقط بعد أن وقعت اتفاقيات مستخدم نهائي تقصر استخدامها على المسرح السوري، وأن موسكو تراقب الالتزام بذلك بشكل دقيق. رداً على ذلك، يقول المسؤولون الإسرائيليون إنهم لم يروا قيوداً ذات معنى على عمليات نقل الأسلحة الروسية، وأن حزب الله نقل أسلحة قدمتها له روسيا إلى لبنان وبمعرفة روسيا الكاملة.¹⁰⁶

تحدي ثانٍ بالنسبة لروسيا يتمثل في الموازنة بين تركيا والمجموعات المرتبطة بحزب العمال الكردستاني في سورية. إسقاط المعارضة السورية المسلحة في العام 2015 لطائرة روسية سمح لموسكو بوضع أنقرة في "مكانها"؛ وتركيا، التي تبين أنها مستعدة لتقديم تنازلات كبيرة مقابل المساعدة في قمع حزب العمال

¹⁰⁰ استثناء بارز تمثل في الغارة الأميركية في أيار/مايو 2017 على وحدات النظام ووحدات متحالفة معه قرب التنف شرق سورية، بالقرب من الحدود العراقية والأردنية. لقد كانت الولايات المتحدة تدرّب مجموعات معارضة مسلحة سورية هناك استعداداً للحرب ضد تنظيم الدولة في دير الزور ومحيطها.

¹⁰¹ نوح بونسي، "ماذا كان على المحك في المحادثات السورية في أستانة؟"، تعليق لمجموعة الأزمات، 24 كانون الثاني/يناير 2017.

¹⁰² يذكر أن الرئيس فلاديمير بوتين أخبر الأسد في كانون الأول/ديسمبر 2017 أنه من وجهة نظر موسكو لا تستطيع سورية العودة إلى أيام ما قبل العام 2011، وأنه سيترتب على الأسد القبول بنظام أكثر تنوعاً بعد انتهاء الصراع. مقابلة، موسكو، كانون الأول/ديسمبر 2017.

¹⁰³ يذكر أن هذا ما نقله المسؤولون الروس لنظرانهم في الاتحاد الأوروبي. مقابلة، بروكسل، شباط/فبراير 2017؛ و "Russia asks world powers to pay for Syria reconstruction", *Financial Times*, 23 February 2017. إضافة إلى ذلك، عبرت الصين عن اهتمامها بالمساعدة بإعادة الإعمار. خطاب فو بينغ، رئيسة لجنة الشؤون الخارجية في المؤتمر الشعبي الوطني الصيني، مؤتمر روما للحوار المتوسطي، روما، 30 تشرين الثاني/نوفمبر 2017.

¹⁰⁴ مقابلات، تل أبيب، أيلول/سبتمبر 2016.

¹⁰⁵ من منظور إسرائيل، فإن شراكة روسية - إسرائيلية أقوى ستشمل: انخراط دبلوماسي على أعلى مستوى (قمم منتظمة بين بوتين ونتنياهو)؛ قواعد متفق عليها (على سبيل المثال، ألا تقدم روسيا أسلحة لحزب الله وألا تحميهِ من الضربات الجوية الإسرائيلية)؛ وقبول إسرائيل بالأسد وبالدور العسكري الروسي في سورية؛ وتعاون اقتصادي وثيق. Seth Frantzman, "Despite Syria, Israel-Russia relations are the warmest in history", *Jerusalem Post*, 25 March 2017.

¹⁰⁶ مقابلات مع دبلوماسي روسي، تل أبيب، تشرين الأول/أكتوبر 2006؛ ومع مسؤول عسكري، تل أبيب، نيسان/أبريل 2016. يستمر رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو في حوار نشط مع بوتين. وقد كان رد روسيا على ضربات الجيش الإسرائيلي المتكررة ضد أهداف النظام السوري وحزب الله خجولة. من جانب موسكو، فإن روسيا ستحاول منع إيران و/أو حزب الله من الاقتراب أكثر مما ينبغي من الجولان، وستكون مستعدة لاستخدام الدبلوماسية وعلاقاتها الجيدة مع كل من إسرائيل وإيران لمنع مواجهة مباشرة بينهما، لكنها لن تتدخل في أي تبادل للأعمال القتالية بين الطرفين، مثل الضربات الجوية الإسرائيلية على قواعد إيرانية في سورية. مقابلات، موسكو، كانون الأول/ديسمبر 2017. مسؤولون إيرانيون عبروا عن ثقتهم بأن موسكو لن تسمح بتصاعد مواجهة بين إسرائيل وإيران في سورية. مقابلات، كانون الأول/ديسمبر 2017.

الكرديستاني، وافقت في العام 2016 على التوقف عن دعم المعارضة المسلحة في شرق حلب مقابل السماح لها بتحرير قواتها في شمال سورية لمنع تقدم وحدات حماية الشعب غرباً.¹⁰⁷ قامت روسيا من ثم بتشكيل ميدان المعركة بإجبار الأكراد على الاعتماد على النظام للانتقال بين الضواحي الشرقية وغفرين. وحصلت روسيا على مكاسب من قتال وحدات حماية الشعب ضد تنظيم الدولة الإسلامية، وحتى كانون الأول/ديسمبر 2016، ضد المعارضة المسلحة في حلب وحولها. بالمقابل، ساعدت بردع الهجمات التركية على غفرين وأشارت إلى بعض الانفتاح على مطالب الأكراد بالحكم الذاتي.¹⁰⁸ رغم أنها أصرت على أن يتفاوضوا على أي تغيير لوضعهم مع دمشق.¹⁰⁹

أما التحدي الثالث لروسيا فيتمثل في إدارة تحالفها مع إيران. تتلاقى المصالح الرئيسية ل طهران وموسكو في سورية؛ فكلاهما تسعيان لحماية نظام الأسد. وقد جعل هذا علاقتهما الأمنية ترتقي بشكل غير مسبوق. كما أنهما بحاجة بعضهما بعضاً لتحقيق التوازن والتحوط ضد الولايات المتحدة. لكن، ورغم المشاركة في عملية أسنانه، ليس من الواضح إلى أي حد تدعم إيران رؤية روسيا لترتيب تقاسم السلطة الذي يضمه تحالف واسع لقوى إقليمية وعالمية.¹¹⁰ وبالمقابل، فإن روسيا لا ترغب أن ينظر إليها على أنها جزء من تحالف تقوده إيران يعارض السعودية وشركاءها في صراعات الشرق الأوسط،¹¹¹ وترغب بتوسيع علاقاتها التجارية مع دول الخليج. كقوة عظمى سابقة محبطة، تحاول روسيا استغلال التراجع النسبي للولايات المتحدة في القضايا العالمية لتعود بصيغة ما بعد سوفيتية. لكن اللاعبين الإقليميين لا يتقون بروسيا بقدر ما لا يتقون بدوافع الولايات المتحدة. على سبيل المثال، فإن دعم موسكو للأسد لا يحظى بالشعبية في أوساط التحالف المعادي لإيران. لكن ينظر إلى روسيا بشكل عام على أنها الأقل تهديداً لأنها تتمتع بنقل سياسي وعسكري أقل من ذلك الذي تتمتع به الولايات المتحدة. كما ينظر إليها بدرجة أقل من انعدام الثقة بصفتها قادم جديد إلى المنطقة (بصفتها روسيا، وليس الاتحاد السوفيتي)، والتي لم تظهر (حتى الآن) تفضيلات سياسية قوية، باستثناء دعمها للأسد وعدائها للإسلاميين. وبالفعل فإن الأنظمة الاستبدادية مسرورة برضى موسكو، وروسيا من جهتها ظلت خارج الصراعات في العراق واليمن.

في المحصلة، فإن روسيا قوة أمر واقع ترى في الوضع المتدهور في المنطقة تهديداً لها وتحمل المسؤولية للغرب لتغذيته الفوضى من خلال دعم الانتفاضات العربية. إنها تفضل خيار الإبقاء على الأنظمة الاستبدادية، مهما كانت متصلبة، بدلاً من الاعتراف بفقدانها للشرعية والحاجة الماسة للإصلاح. قد تكون مستعدة للعمل بالتنسيق مع آخرين، لكنها لا تثق بدوافع الدول الغربية. علاوة على ذلك، ومع وجود رئيس لا يمكن التنبؤ بأفعاله في البيت الأبيض وتنامي انعدام الثقة بين الولايات المتحدة وروسيا، فإن أية مباحثات جدية، ناهيك عن مقارنة تعاونية، تبقى رمزية وحسب.¹¹²

3. الاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء فيه

للإتحاد الأوروبي مصالح استراتيجية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لكنه نأى بنفسه عن لعب دور سياسي يتناسب مع تلك المصالح أو مع ثقته الاقتصادية. تمثل انخراطه المتميز الوحيد في التوسط في صراعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الأزمة النووية الإيرانية؛ حيث كان دور مكتب رئيس المفوضية بارزاً في المساعدة في التوصل إلى الاتفاق النووي في العام 2015 بين مجموعة 5 + 1 - المعروفة أيضاً بالاتحاد الأوروبي 3 + 3 - وإيران. لقد شارك الإتحاد الأوروبي في محاولات وساطة أخرى؛ فهو عضو في الرباعية التي تتوسط بين إسرائيل وفلسطين، وفي سورية قال الإتحاد الأوروبي إنه يعتزم استخدام مساعدات إعادة الإعمار كأداة للنفوذ للتوصل إلى عملية سياسية مستدامة حول ما وصفه رئيس المفوضية بـ "نقطة هبوط مشتركة" - وهو إجماع أساسي يبدأ بمعالجة المصالح والاهتمامات الجوهرية للجهات المعنية الرئيسية.¹¹³ إلا أن هذه الجهود لا ترقى إلى مكانة الدبلوماسية النشطة.

¹⁰⁷ Lund, "How Assad's Enemies Gave Up", op. cit.

¹⁰⁸ انظر Fehim Tastekin, "Turkey waiting ... and waiting ... to intervene in Afrin", *Al-Monitor*, 14 July 2017.

¹⁰⁹ مقابلات مع مسؤول روسي رفيع، موسكو، نيسان/أبريل 2017.

¹¹⁰ مقابلات، موسكو، كانون الأول/ديسمبر 2017؛ ومع مسؤولين إيرانيين، كانون الأول/ديسمبر 2017.

¹¹¹ انظر سلسلة مقالات في Russian International Affairs Council, *Russia-Iran Partnership: An Overview and Prospects for the Future* (2016).

¹¹² مقابلات، موسكو، كانون الأول/ديسمبر 2017.

¹¹³ مقابلات مع مسؤولين في الإتحاد الأوروبي، بروكسل، نيسان/أبريل 2017.

ومرد هذا إلى أن تحالف الاتحاد الأوروبي مع الولايات المتحدة، وهي لاعب دولي له مصالحه الاستراتيجية الخاصة في المنطقة، مكنه من لعب دور اقتصادي أكثر منه سياسي، أو عسكري. من بين الدول الأوروبية، فإن القوى الاستعمارية السابقة بريطانيا وفرنسا (وإيطاليا في ليبيا) كان لها دور متقدم، خصوصاً من خلال مبيعات الأسلحة، لكن كثافة فإن أوروبا كانت لاعباً اقتصادياً من الوزن الثقيل بحد ذاتها. لقد شجع الاتحاد الأوروبي العلاقات التجارية، وقدم مساعدات إنسانية وتنموية ومساعدات مهمة في إعادة الإعمار ودفع نحو الاندماج الاقتصادي والإصلاح الديمقراطي.

ثمة عامل يسهم في تعقيد الأمور يتمثل في غياب سياسة خارجية أوروبية موحدة. تسعى الدول الأعضاء لتحقيق مصالحها الخاصة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وبقيامها بذلك فإن جهودها تتعارض أحياناً. إن تباعد سياساتها حيال أزمات المنطقة وصراعاتها تقوض احتمال التوصل إلى حلول فعالة بينما تقلل من مكانة الاتحاد الأوروبي كمؤسسة ذات مقاربة متماسكة.¹¹⁴

تتمثل المصالح الاستراتيجية لأوروبا في أمن الطاقة، والاستقرار السياسي والتمكن من الوصول إلى الأسواق والحد من تداعيات أزمات المنطقة. لقد استجاب اللاعبون الأوروبيون الرئيسيون، المملكة المتحدة، وفرنسا، وألمانيا، بشكل منفصل ومختلف لأزمة المهاجرين/اللاجئين وللتهديد الجهادي، وفي بعض الأحيان وجدوا أنفسهم على جوانب مختلفة من الصراعات، وبشكل يتباين مع المواقف المعلنة للاتحاد الأوروبي. في ليبيا، تصرف إيطاليا وفرنسا، بشكل خاص، بشكل متعارض. وفي اليمن، لعب الاتحاد الأوروبي دوراً بناءً في مساعدة الوساطة الحيادية للأمم المتحدة، لكن جهوده قوضتها الدول الأعضاء، وبشكل خاص المملكة المتحدة وفرنسا، اللتان وفتتا مع التحالف الذي تقوده السعودية، وقدمتا له الأسلحة وساعدته على الحصول على قرار أحادي من مجلس الأمن (القرار 2216) في نيسان/أبريل 2015.¹¹⁵ في ليبيا، لم تنسق المملكة المتحدة، وفرنسا وإيطاليا أفعالها وتدخلاتها؛ ولم يسهم هذا في جهود الأمم المتحدة في تشكيل حكومة وفاق وطني مقبولة لجميع اللاعبين الرئيسيين.¹¹⁶

ثمة مشكلتان بارزتان أخريان تتمثلان في اتباع سياسات قصيرة الأجل والاستجابات التي يطغى عليها العمل العسكري. على الجبهة العسكرية، نزع الاتحاد الأوروبي للسير خلف قيادة واشنطن، وانضمت دوله الأعضاء إلى التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسورية. في حين أن هذا كان مفهوماً، فإن على المرء أن يتشكك في التصميم الذي يميز السعي لتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي على حساب معالجة المشاكل الأخرى المسببة للصراع. علاوة على ذلك، فإن العمل العسكري في العراق وسورية تم القيام به خارج الإطار الاستراتيجي الكلي الذي يضع في الحسبان تحقيق الاستقرار بعد انتهاء الصراع ومتطلبات بناء السلام. أحد الأمثلة على ذلك هو الدعم العسكري للحلفاء المحليين، مثل بعض الأحزاب الكردية،¹¹⁷ بينما أهملت معالجة المظالم العربية السنية. يمكن القضاء على وباء تنظيم الدولة الإسلامية فقط من خلال استراتيجية تتمثل في مساعدة العراقيين على إعادة بناء مدنهم ومؤسساتهم المدمرة استناداً إلى مبادئ المشاركة الشاملة.

إن الحاجة لإظهار نتائج قصيرة الأمد (بما في ذلك وخصوصاً النتائج العسكرية) لبرلمانات وجماهير غير صبورة هو الذي يحدد توزيع الموارد ويتعارض مع جهود منع الصراعات في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا التي قد تكون على المدى المتوسط والبعيد أكثر فعالية بكثير في معالجة التهديدات الراهنة. وبالفعل، فإن الحل السريع يمكن أيضاً أن تقوض ذلك الهدف وبالتالي تلحق الضرر بالمصالح الاستراتيجية للدول الأوروبية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. على سبيل المثال، فإن التلطف الذي اتسم به مسعى الدول الأوروبية، وخصوصاً إيطاليا، لوقف تدفق المهاجرين عبر ليبيا، وفي حين أنه مفهوم تماماً، يتعارض بشدة

¹¹⁴ Joost Hiltermann, "Europe's Middle East myopia", *Politico*, 12 August 2015.

¹¹⁵ تقرير مجموعة الأزمات، "اليمن: هل السلام ممكن؟"، مرجع سابق.

¹¹⁶ تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 170، "الاتفاق السياسي الليبي وضرورة إعادة صياغته"، 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2016. في أواسط العام 2017، على سبيل المثال، ظهرت توترات بين فرنسا وإيطاليا بعد أن دعا الرئيس الفرنسي المنتخب، إيمانويل ماكرون، المشير خليفة حفتر، رجل شرق ليبيا القوي، إلى باريس مع رئيس الوزراء المعترف به، فايز السراج، في محاولة للتوسط في اتفاق سلام. إيطاليا، التي تتركز مصالحها الرئيسية في ليبيا في الغرب، نظرت بتشكك إلى مبادرات فرنسا نحو حفتر، ومساعدتها العسكرية لقواته في بنغازي في العام 2016، وعلاقتها الوثيقة مع راعيته الرئيسيين، مصر والإمارات العربية المتحدة.

¹¹⁷ عندما ظهرت أسلحة ألمانية خلال القتال بين الحزب الديمقراطي الكردستاني ووجدها حماية الشعب في سنجار في أيار/مايو 2017، طلبت ألمانيا من الحزب الديمقراطي الكردستاني عدم استخدام الأسلحة التي زودته بها ألمانيا في صراعات لا تتعلق بتنظيم الدولة الإسلامية؛ ويذكر أن الحزب الديمقراطي الكردستاني التزم بذلك. قدمت ألمانيا مساعدات عسكرية للقوات الاتحادية العراقية أيضاً. مقابلة مع مسؤول ألماني، برلين، تموز/يوليو 2017.

مع إجماعها عن معالجة الأهداف بعيدة المدى الأكثر أهمية والمتمثلة بإيجاد حل سياسي للصراع الليبي وتحقيق الاستقرار في الوضع الاقتصادي والأمني. إن معالجة هذه القضايا معاً بشكل أفضل حل يوفر السلامة للمهاجرين ولا يشجعهم على القيام برحلة خطيرة إلى أوروبا.¹¹⁸

أخيراً، وكما يكون الاتحاد الأوروبي وسيطاً فعالاً، عليه أن يفتح على التحدث إلى جميع الأطراف، حتى لو كان يختلف بعمق مع منظور حكومة أو مجموعة سياسية ما. ثمة استثناءات بالطبع؛ فتنظيمات مثل القاعدة أو الدولة الإسلامية التي ترفض الانخراط في السياسة هي خارج هذا السياق، حتى لو كان الحوار حول القضايا الإنسانية ينبغي أن يدرس على أساس كل حالة حسب مقتضياتها. أما الإسلاميين المعتدلين الذين يدعمون الممارسات السياسية التشاركية والتبادل السلمي للسلطة فقد أصبحوا جزءاً لا مهرب منه في المشهد السياسي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. إن عدم استعداد الاتحاد الأوروبي للانخراط مع مثل هذه المجموعات لاستكشاف سبل الخروج من الصراعات يدفعها إلى التحول إلى مفسدات رئيسية تعيق التقدم نحو تسوية تفاوضية وتشجع أعضائها الشباب على اختيار مسار العنف.¹¹⁹

¹¹⁸ انظر Crisis Group Commentary, "Quick Fixes Won't Block Libya's People Smugglers for Long", 14 September 2017، وتقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 179، "كيف أصبح إقليم فزان الليبي أحد الحدود الجديدة لأوروبا"، 31 تموز/يوليو 2017.

¹¹⁹ تشكل مصر مثلاً على ذلك، حيث فُعم الإخوان المسلمون بعنف غير مسبوق بعد انقلاب تموز/يوليو 2013، ولا يجدون دعماً في أوروبا، وبالتالي لا يجدون على نحو متزايد من يتحاور معهم رغم استمرار الأهمية السياسية للتنظيم في مصر وبلدان أخرى. مقابلات مع أعضاء في الإخوان المسلمين، ومسؤولين في الاتحاد الأوروبي، 2015-2017. انظر Crisis Group Commentary, "Keeping Egypt's Politics on the Agenda", 30 April 2017.

IV. كيفية معالجة التشابك المتزايد للصراعات

أ. تقاطع خطوط الصراعات والتدخلات الخارجية

نظرة شاملة لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تظهر منطقة تسودها صراعات عنيفة تعصف بكل أجزائها، وتعتبر الحدود الطبيعية وتلك التي من صنع الإنسان، وتقسيم البلدان، وتلتهم المدن، وتقتل أعداداً لا حصر لها من الناس، وتؤدي إلى تدفقات من السكان وتجذب لاعبين جدد – هلعين و/أو انتهازيين.¹²⁰ في حين أن المنطقة لم تخل يوماً من الصراعات المسلحة، فإن مدى تأثرها اليوم بالعنف غير مسبق.¹²¹ وسبب ذلك أن الصراعات المتولدة محلياً تجاوزت الحدود وفي بعض الحالات بدأت بتوليد بعضها بعضاً. وخلال هذه العملية، يتم ابتلاع المحركات الأصلية للصراعات التي تتخفى تحت عباءة مظالم وأهداف جديدة، ينتطح لها لاعيون جدد في الصراع ويتم إعادة توظيفها في سرديات معدلة تخدم أهدافهم الخاصة. مع تضاعف عدد اللاعبين وتشرذمهم، فإنهم ينخرطون في تحالفات جديدة، وأحياناً مفاجئة، تحالفات مصلحية تستند إلى التلاقي المؤقت للمصالح، وبالتالي يجبرون على تمبيع أيديولوجياتهم السياسية لاجتذاب قوة بشرية جديدة من خارج مجموعتهم المباشرة ويحكمون فعلياً المناطق التي يستولون عليها.¹²²

مع تقاطع الصراعات التي تنتمي إلى مجموعات منفصلة، فإنها تتحول وتتغير، إلا أن قواها الدافعة الأصلية تظل موجودة، وكذلك لاعبيها الرئيسيين. إذا لم نعالج الصراعات الجديدة والقديمة على حد سواء، مع فهم كامل لنشوء وتطور كل منها ومنطقها الداخلي، فإننا نخاطر بمعالجة الأعراض بدلاً من الأسباب، ما يؤدي إلى تفاقم الصراعات بدلاً من تخفيف حدتها، وسنفشل في مساعدة اللاعبين المحليين على تصميم تسويات عملية للصراعات.

ما يفاقم هذا الوضع المعقد هو التدخلات الخارجية من أي نوع كانت وبصرف النظر عن دوافعها. من المرجح حدوث تبعات ضارة غير مقصودة، حيث إن الآثار الإيجابية في مجموعة معينة يمكن أن تتسبب بآثار سلبية في مجموعة أخرى. الأمثلة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تتعلق عادة بالأولويات الرئيسيتين للاعبين الخارجيين واللذين تتمثلان في محاربة القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية، ووقف تدفق المهاجرين واللاجئين. إن سياسات الدول الغربية (لكن سياسات روسيا أيضاً) التي تركز بشكل مفرط على الجانب الأمني من محاربة الإرهاب أدت إلى زيادة قوة لاعبين محليين يواجهون الجهاديين، لكنهم في الوقت نفسه يسعون لتحقيق أجنداتهم الخاصة استناداً إلى كيفية رؤيتهم لمصالحهم الرئيسية في إطار مجموعة الصراع التي ينشطون فيها. وهذا يلهب الصراعات المحلية وبالتالي يعقد التخطيط للسياسات.

1. مثال: سورية

رغم أن مجموعات الصراع تقاطعت وتفاعلت من قبل – بدليل تأسيس حزب الله في العام 1982 رداً على الأفعال الإسرائيلية في جنوب لبنان (المجموعة الثانية) لكن الذي أصبح أكثر قوة بفضل الثورة الإيرانية (المجموعة الثالثة) – فإن انهيار عدة دول عربية في أعقاب الانتفاضات الفاشلة سرع وضخم العملية. الحرب السورية فريدة من حيث أنها تجسد تلاقي كل المجموعات الخمس: التحدي الذي ظهر في العام 2011 للنظام (المجموعة الخامسة) تستند إلى المجموعة الأولى) اجتذب إيران وحزب الله (المجموعتان

¹²⁰ ليس من قبيل المصادفة أن استمرار الصراعات العنيفة يؤول إلى ما لا نهاية له احتمال معالجة مسائل ملحة مثل التغيير المناخي والإصلاح الاقتصادي.

¹²¹ لقد أورد البعض مقارنات مع حرب الثلاثين عاماً والدمار الذي أحدثته في أوروبا (1618-1648). Michael Axworthy and Patrick Milton, "A Westphalian Peace for the Middle East", *Foreign Affairs*, 10 October 2016; and Pascal Daudin, "The Thirty Years' War: The First Modern War?", *Humanitarian Law & Policy*, 23 May 2017.

¹²² يصبح هذا إلى حد ما على وحدات حماية الشعب/حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي وجبهة النصرة (التي أصبحت لاحقاً هيئة تحرير الشام) في سورية. في ليبيا، الطريقة التي استجابت بها مختلف المجموعات لظهور تنظيم الدولة الإسلامية واستيلائها على مدينة سرت في العام 2015 يوضح هذه الدوافع المتناقضة. سرت، وهي مدينة مرتبطة بنظام القذافي الساقط (والمناهضة بقوة للإسلاميين)، عزلت ونزع سلاحها بعد العام 2011، ووجدت في البداية في تنظيم الدولة الإسلامية حامياً من أعدائها الثوريين. بشكل عام، فإن اللاعبين الرئيسيين في الصراع الليبي سعوا لتشكيل تحالفات مصلحية ويفترات زمنية منتظمة، خصوصاً في المناطق البعيدة عن المحور الرئيسي للصراع بين شرق وغرب البلاد. انظر تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 178، "كيف صعد تنظيم الدولة الإسلامية وسقط ويمكن أن يصعد من جديد في المغرب العربي"، 24 تموز/يوليو 2017؛ وتقرير مجموعة الأزمات "كيف أصبح إقليم فزان الليبي"، مرجع سابق.

الثانية والثالثة)، إضافة إلى تركيا وقطر الإخوانيين، اللتين تتنافسان مع السعودية والإمارات العربية المتحدة (المجموعة الرابعة)؛ وولدت الحرب التطرف السني، ما سمح للقاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية بالازدهار (المجموعة الرابعة)، وتحويل ثورة شعبية إلى ما أصبح على نحو متزايد حرباً إقليمية بالوكالة بصيغة طائفية (المجموعة الثالثة)، بينما تلقى الأكراد السوريون جرعة من الجراءة، بمساعدة حزب العمال الكردستاني، للمطالبة بالحكم الذاتي (المجموعة الأولى). وكي تكتمل الأمور، فإن صعود الجهاديين تسبب بتدخلات عسكرية من قبل الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين، وأدى التهديد بسقوط الأسد إلى اجتذاب روسيا؛ وتحقيق حزب العمال الكردستاني للتقدم في شمال سورية، من خلال المجموعات المحلية المرتبطة به، دفع إلى التدخل التركي (المجموعة الأولى).

إن تقاطع مجموعات الصراع مرفقاً بالتدخلات الخارجية ينتج شركاء غير متوقعين. الولايات المتحدة، وكذلك الاتحاد الأوروبي وتركيا، تعتبر حزب العمال الكردستاني منظمة إرهابية عملت بالتعاون وثيق مع الجناح السوري للحزب، وحدات حماية الشعب، لإخراج تنظيم الدولة الإسلامية من شمال سورية. وهذا هز المؤسسة التركية، التي طالما سلمت بعلاقة تركيا مع الدول الغربية وعضويتها في حلف شمال الأطلسي كأمر لا يرقى إليه الشك. رداً على ذلك، سعدت أنقرة من دعمها للمعارضة السورية المسلحة، بما في ذلك العناصر الجهادية التي تختلف بعمق مع أيديولوجيتها، سعياً لهدفها الإضافي المتمثل في وقف وعكس التقدم الذي تحققه وحدات حماية الشعب على الأرض. بعبارة أخرى، فإنها استخدمت أحد خصومها في المجموعة الرابعة ضد ما وجدت فيه تهديداً رئيسياً: عدواً في المجموعة الأولى.

ما تعنيه هذه المجموعات المتقاطعة ضمناً هو أن التوصل إلى تسوية سورية اليوم سيكون أصعب منألاً من تسوية الصراع الأصلي، الذي كان "مجرد" رفض شعبي للنظام الاستبدادي. تلك المواجهة الأساسية (المواطنون ضد الأسد) يبقى موجوداً ولا بد من معالجته في انتقال سياسي مستقبلي لإنتاج ترتيب مستقر قائم على عقد اجتماعي ودستور جديدين (المجموعة الخامسة). وسيكون من الضروري معالجة القضايا الأخرى كجزء من تسوية أكبر، أو عزلها ومعالجتها بشكل منفرد. على سبيل المثال، سيتوجب إدخال القضية الكردية في عملية انتقال سياسي بوصفها مسألة دستورية، لكنها قد تتطلب أولاً ترتيباً منفصلاً بين تركيا وحزب العمال الكردستاني (المجموعة الأولى – أي خارج سورية).¹²³

أما مسألة وجود إيران وحزب الله في سورية فإنها أكثر تعقيداً. سيبقى هذان اللاعبان في سورية في المستقبل المنظور؛ أما كيف يشكلان نفسيهما (مستوى تقدم الأسلحة المقدمة إلى حزب الله) وأين ينشران قواتهما (قرب الجولان؟) فيمكن أن يحدد ما إذا كانت حرباً جديدة ستندلع بين إسرائيل وحزب الله، تدور رحاها هذه المرة في سورية كما في لبنان (المجموعتان الثانية والثالثة). بدلاً من ذلك، إذا تم التوصل إلى عملية انتقال سياسي، فإن مسألة من يتفاوض مع النظام ستحدد جزئياً بكيفية تسوية المنافسة بين تركيا/قطر والسعودية/الإمارات: هل ستحصل المجموعات المرتبطة بالإخوان على مقعد على الطاولة (المجموعة الرابعة)؟ وأخيراً، فإن عملية سياسية ناجحة ستعتمد على ما إذا كانت القوى الدولية راضية: بالنسبة للولايات المتحدة وأوروبا، هذا يعني إلحاق الهزيمة بالجهاديين العابرين للأوطان وتنظيم عملية انتقالية تنتهي برحيل الأسد؛ وبالنسبة لروسيا، فإنها تعني المحافظة على النظام، وإلحاق الهزيمة بالجهاديين وعملية انتقالية تديرها موسكو.

2. أمثلة أخرى من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

ينطبق نفس المنطق على صراعات أخرى في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: ينظر اللاعبون إلى فرصهم الحالية وكذلك إلى مطالبهم القديمة ويريدون استخدام ظروفهم الجديدة لتلبية تلك المطالب أو على الأقل لتجنب أضرار إضافية.

□ **صعود إيران:** تؤكد السعودية على أنه لا ينبغي لإيران التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، وبالتأكيد ألا تصدر نموذج 'ولاية الفقيه' في الحكم إلى السكان الشيعة (المجموعة الثالثة)، بما في ذلك إلى أولئك الموجودين في سورية ولبنان.¹²⁴ إلا أن دعم إيران لحزب الله ونظام الأسد مدفوع بشكل

¹²³ بالطبع، يمكن "تسوية" القضية الكردية في سورية بطريقة مختلفة تماماً أيضاً، أي إذا أعاد نظام الأسد بعد أن يستعيد قوته فرض نفسه على المنطقة الكردية. يمكن لمثل هذه الحصيلة أن تتخذ أشكالاً مختلفة، لا يمكن التنبؤ بها بعد. Sam Heller, "The signal in Syria's noise", *War on the Rocks*, 30 June 2017.

¹²⁴ مقابلة مع باحث سعودي، برلين، أيار/مايو 2016. الرد الإيراني على هذا، طبقاً لمسؤول إيراني: "يقول العرب، لا يجوز أن أكون في الفضاء العربي! لكن ليست عمتي هي التي غزت إيران [في العام 1980]". مقابلة، كانون الأول/ديسمبر 2017.

رئيسي باستراتيجيتها الدفاعية المتقدمة لمواجهة تهديد تعتقد أن مصدره إسرائيل (المجموعة الثانية)، وليس فقط بمجرد وجود سكان شيعة في جنوب لبنان، أو بحكم علاقتها مع السعودية، التي لا تعتبرها عدواً خطراً. (علاوة على ذلك، لو كان لديها أي نية بتصدير نموذجها السياسي، لكان هذا علامة فشل). على نحو مماثل، فإن تركيا ترى في التحركات الإيرانية في سورية والعراق تهديداً لمصالحها (المجموعة الأولى) لأن هذه الأفعال تقرب وكلاء إيران من الحدود التركية، بينما بالنسبة لإيران، فإن تركيا ليست خصماً باختصار، فإن المواجهة الإيرانية – الإسرائيلية جرت السعودية وتركيا إلى المعترك – كل لأسباب تستند إلى تطوره التاريخي وليس بالضرورة على الجانب نفسه.

لا علاقة لوجود إيران في العراق بإسرائيل، وله كل العلاقة بأعقاب الصراع الذي جرى في الثمانينيات (المجموعة الثالثة التي تضم الحرب الإيرانية العراقية) والفرصة التي وفرها التدخل الأميركي في العام 2003 لإبقاء العراق ضعيفاً (ولا يشكل أي تهديد) وتحت سيطرة الأحزاب الإسلامية الشيعية والمليشيات المرتبطة بها، حلفاء إيران الاسمين.¹²⁵ السعودية تنظر إلى هذا بوصفه تهديداً مباشراً لأنها. بعبارة أخرى، فإن حاجة طهران لحماية "الخارج القريب" يديم خصوصيتها مع السعودية التي تعتبر وجود إيران في العراق انتقاماً لطهران من غزو العراق المدعوم سعودياً في العام 1980. وقد تجلى هذا بوصفه صراعاً ذا صبغة طائفية بين السنة والشيعية في العراق (المجموعة الثالثة). تسربت هذه الخصومة إلى المنطقة الكردية، حيث وضعت السعودية نفسها، مع تركيا، إلى جانب الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة البرزاني (إلى أن أحدث استفتاء البرزاني أثراً عكسياً في تشرين الأول/أكتوبر 2017) ومع احتفاظ إيران بعلاقات عمل مع الاتحاد الوطني الكردستاني ومقره السليمانية وحركة غوران الإصلاحية المنشقة عن الاتحاد الوطني الكردستاني، إضافة إلى حزب العمال الكردستاني (المجموعة الأولى).¹²⁶

إن أي نقاش لدور إيران في المنطقة ينبغي أن يأخذ هذه الأبعاد المتقاطعة بعين الاعتبار. يمكن لإيران أن تتخذ خطوات لإقناع تركيا وخصوصاً السعودية بأنه ليس لديها طموحات للهيمنة على المنطقة. ويمكن لهذا أن يشمل خطوات بناء ثقة للحد من التوترات في المناطق التي لا يوجد فيها علاقة مباشرة مع صراع إيران الرئيسي ضد إسرائيل (على سبيل المثال، في اليمن والبحرين) أو في الأماكن التي لا يتأثر فيها هذا الصراع بشكل كبير (في شمال العراق وشمال سورية).¹²⁷ بالمقابل، يمكن للسعودية أن تساعد في تخفيض الحرارة بتخفيف حدة خطابها المعادي لإيران وإطلاق حوار رفيع المستوى مع طهران حول دور كل من البلدين في المنطقة. علاوة على ذلك، ومن أجل إدارة الصراع بين إيران وإسرائيل والحد من فرص نشوء تصعيد خطير، يتوجب على الموقعين على الاتفاق النووي – أو خطة العمل الشاملة المشتركة – الاستمرار في تنفيذ الاتفاق نصاً وروحاً.

□ **حرب اليمن.** في اليمن، تدخلت السعودية لمواجهة تحالف بين الحوثيين والزعيم الاستبدادي السابق، علي عبد الله صالح، الذي أخرج من السلطة من قبل مجلس التعاون الخليجي في أعقاب انتفاضة العام 2011 (المجموعة الخامسة)، وقتل على يد الحوثيين في كانون الأول/ديسمبر 2017. الرياض ترى في الحوثيين وكلاء لإيران وتجد في نجاحهم بحد ذاته أمراً لا يمكن احتمالته (المجموعة الثالثة).¹²⁸ ليست الطائفية هي التي دفعت هذه الأحداث (لم يكن هناك خطاب شيعي ضد سني في اليمن قبل الحرب) لكنها بدأت بفعل ذلك مع وصف المتحاربين المحليين بشكل متزايد خصومهم بعبارة طائفية وبعد أن أصبحت الديناميكيات المحلية متشابكة مع الصراع الإيراني – السعودي الأكثر تعقيداً.¹²⁹ الشريك الرئيسي للسعودية في حرب اليمن هو الإمارات العربية المتحدة لكنها تعترض على دور حزب الإصلاح، الفرع المحلي للإخوان المسلمين واللاعب السياسي المهم (المجموعة الرابعة).¹³⁰ هذا يضعف المواجهة العسكرية لمجلس التعاون الخليجي مع الحوثيين ويمكن أن يعقد محاولات تشكيل

¹²⁵ تقرير مجموعة الأزمات، "إيران في العراق"، مرجع سابق.

¹²⁶ للمزيد حول العلاقات السعودية مع الحزب الديمقراطي الكردستاني، مقابلات مع مسؤول سعودي رفيع، الرياض، أيار/مايو 2017.

¹²⁷ لكن يبدو أن إيران ميالة للانتصار في العراق (حيث ينتقل قائد فيلق القدس قاسم سليماني في الأراضي التي انتزعتها قواته من تنظيم الدولة الإسلامية غرب سورية) وبشكل عام، توسع نفوذها بشكل مفرط في المنطقة، وتنتقل إلى مناطق غير ضرورية لدفاعها المشروع عن النفس.

¹²⁸ Transfeld, "Iran's Small Hand in Yemen", op. cit. و "الحوثيون ليسوا حزب الله"، مرجع سابق.

¹²⁹ تقرير مجموعة الأزمات، "اليمن: هل السلام ممكن؟"، مرجع سابق.

¹³⁰ بعد أن انفصلت قوات الرئيس السابق علي عبد الله صالح عن الحوثيين في كانون الأول/ديسمبر 2017 (وهو قرار أدى إلى صدامات في صنعاء قتل صالح خلالها)، أطلقت السعودية والإمارات عملية مصالحة مع حزب الإصلاح كوسيلة لتعزيز قوة التحالف المعادي للحوثيين. العربية، 14 كانون الأول/ديسمبر 2017.

حكومة تقاسم سلطة بعد انتهاء الصراع في صنعاء. فقط عندما تتراجع المواجهة الإقليمية بين إيران والسعودية وعندما تضع دول الخليج جانباً شكوكها حيال حزب الإصلاح يمكن للمفاوضات حول مستقبل البلاد أن تتجح وأن تفضي إلى تسوية تعالج القضايا الشائكة التي طرحت في انتفاضة العام 2011 (المجموعة الخامسة التي تستند إلى المجموعة الأولى).¹³¹

الدعم الغربي يفاقم المشكلة ويبدو أنه يهزم نفسه بنفسه. لقد ساعد ووقوف الولايات المتحدة، إضافة إلى المملكة المتحدة وفرنسا، مع السعودية والإمارات وتقديم الأسلحة لهما في تصاعد حرب المجموعة الثالثة التي قد يتبين أن المستفيد الرئيسي منها هو القاعدة في شبه الجزيرة العربية (المجموعة الرابعة)، التي تقاتل إلى نفس الجانب الذي يقاتل فيه التحالف الذي تقوده السعودية دون أن تكون جزءاً منه. من غير المرجح أن يفضي الصراع إلى ذلك النوع من عمليات الانتقال السياسي المستقرة التي ينبغي على هؤلاء اللاعبين الغربيين أن يسعوا لتحقيقه بحماسة أكبر (المجموعة الخامسة). من شأن مقاربة أكثر براعة لعمليات نقل السلاح (تقديم أسلحة دفاعية فقط وربط استخدام الأسلحة بالالتزام بقوانين الحرب) واستخدام أكثر حذقاً للدبلوماسية والأشكال الأخرى من القوى الناعمة (التي تشمل جميع أطراف الصراع) أن توفر طريقة تحفظ ماء وجه السعودية والإمارات لإخراج نفسيهما من الحرب والتوصل إلى وقف لإطلاق النار ومحادثات سلام.

□ **عدم استقرار في مصر وليبيا وتونس:** أطلق انهيار الأنظمة في شمال أفريقيا (المجموعة الخامسة) صراعات داخلية على السلطة أصبح الإخوان المسلمون اللاعب المحوري فيها (المجموعة الرابعة). دفع هذا إلى رد من السعودية (في مصر) والإمارات العربية المتحدة (في مصر وليبيا) – وهي ميادين معارك بعيدة بالنسبة للاعبين نادراً ما ينخرطون في هذا النموذج من التدخل بالقوة – أو التدخل العسكري المباشر).¹³²

في مصر، حرضت السعودية والإمارات على الانقلاب ضد الإخوان في العام 2013 والذي أوصل المشير السيسي إلى السلطة (المجموعة الرابعة)، وألغى التغييرات التي بدأتها الانتفاضة الشعبية (المجموعة الخامسة). في ليبيا، لم يكن الصراع أيديولوجياً بل معركة على الوصول إلى الموارد والسلطة، وبشكل عام، حول عقد اجتماعي جديد (المجموعتان الأولى والخامسة). لكن اللاعبين الليبيين تبينوا خطاباً مع وضد الإخوان ينسجم مع، ويتغذى على، التنافس الإقليمي في المجموعة الرابعة بين تركيا/قطر والسعودية/الإمارات. في تونس، حاول محور السعودية/الإمارات إخراج تونس من الحوض المالي القطري من خلال مزيج من التحفيز والتخويف بشكل يهدف إلى تقليص نفوذ النهضة (المجموعة الرابعة).¹³³

إن محاولة وصم وإقصاء الإخوان عن المشاركة السياسية وترتيبات الحكم في المنطقة قصيرة النظر، باعتبار الدعم الشعبي الكبير الذي تحظى به الحركة ودورها كمنطقة عازلة ضد الجهاديين. كي تستقر الأمور في ليبيا، على الإمارات ومصر، بدلاً من محاولة قمع وتهميش التنظيم، السماح لليبيين منحه دوراً مستداماً ومتناسباً مع قوته. كما أن عليهما مساعدة الأمم المتحدة، بالتنسيق مع الدول الأخرى (وبشكل مشترك مع "أصدقاء ليبيا")، في إطلاق مسارات الحوار الاقتصادي والعسكري – وهي الضحايا الرئيسية لعملية الصخيرات في العام 2015 – عن طريق التوصل إلى تسوية مستدامة تعالج المشكلة الأساسية المتمثلة في إصلاح الدولة وعلاقتها مع المواطنين (المجموعة الخامسة). بينت النهضة في تونس الطريق بعد انقلاب العام 2013؛ حيث ينبغي لما فعلته هي والأحزاب التونسية الأخرى أن يشكل نموذجاً في منطقة منقسمة بعمق.¹³⁴ حتى الآن، صمد ترتيب تقاسم السلطة، رغم التحديات المتزايدة التي تعود إلى القضايا التي طرحت في العام 2011 (المجموعة الخامسة). في النهاية، سيترتب على بلدان شمال أفريقيا، كل حسب طريقته، معالجة مثل هذه القضايا دون تدخل خارجي. بالمقابل، على فرعي الإخوان في مصر وليبيا والنهضة في تونس (التي ميزت نفسها أصلاً وبشكل رسمي عن الإخوان) طمأنة الإمارات والسعودية بأنهم لا يسعون إلى التدخل في الشؤون الداخلية للبلدين من خلال دعم الأجنحة المحلية للإخوان أو الحركات الإسلامية الشبيهة بهم هناك.

¹³¹ تقرير مجموعة الأزمات، "اليمن: هل السلام ممكن؟"، مرجع سابق.

¹³² حرب اليمن في ستينيات القرن العشرين شهدت نزاعاً بين السعودية ومصر.

¹³³ Youssef Cherif, "The Gulf crisis threatens Tunisia's stability", Atlantic Council, 8 November 2017.

¹³⁴ إحاطة مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 37، "الاستثناء التونسي: نجاح وقيود الإجماع"، 5 حزيران/يونيو 2014.

□ **السعودية/الإمارات العربية المتحدة ضد قطر:** بلغت المنافسة داخل مجلس التعاون الخليجي أوجها في حزيران/يونيو 2017، عندما فرضت السعودية والإمارات مقاطعة على قطر، وقدمتا سلسلة من المطالب فيما يتعلق بدعمها المزعوم لإيران والإخوان المسلمين. أوضحت الأزمة أنه عندما تصطدم مجموعتان من مجموعات الصراع (المجموعتان الثالثة والرابعة)، فإن الأطراف التي تحاول جسر الفجوة قد تواجه معضلة؛ فيتوجبه إنذار أخير إلى قطر، فإن السعودية والإمارات ربما كانتا تهدفان إلى إجبار قطر على الاختيار بين إعلان الولاء لهما أو تحمل العقوبات بسبب احتفاظها بعلاقات مع الإخوان المسلمين. إلا أن السعودية كانت قد دعمت أعضاء في الإخوان في الماضي، بما في ذلك في اليمن.¹³⁵ باختصار، فإن الأزمة أظهرت أن مجلس التعاون الخليجي أقل بكثير من مجموع أعضائه؛ فكل بلد يستمر في تبني سياسة خارجية مدفوعة بمصلحته الداخلية. إن عدم قدرة المجلس على تشكيل جبهة مشتركة ضد إيران بسبب الاختلافات حول الإخوان يديم نفوذ إيران.¹³⁶

□ **تحالف معاد لإيران:** من الصعب تصور كيف يمكن للسعودية الانخراط في تحالف معاد لإيران مع إسرائيل (المجموعة الثالثة) دون أن تحقق إسرائيل تقدماً حقيقياً نحو تسوية مع الفلسطينيين (المجموعة الثانية)، خشية اندلاع الغضب الشعبي في سائر أنحاء المنطقة مما يقوض أكثر ادعاء السعودية بالقيادة – وربما يهدد استقرارها. وربما لهذا السبب فإن القيادة السعودية طرحت احتمال مبادرة جديدة في تشرين الثاني/نوفمبر 2017.¹³⁷ لكن في حين أن مبادرة جديدة ستكون حيوية لرفاه ليس الفلسطينيين والإسرائيليين وحسب بل المنطقة بأسرها، فإن الفرص الحالية لنجاحها ضئيلة.¹³⁸ ما تبقى من عملية سلام تقوّض أكثر بالقرار الأحادي للرئيس ترامب في كانون الأول/ديسمبر 2017 بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، الأمر الذي لم يكن أمام السعودية خيار سوى إدانته، بالنظر إلى حساسية هذه القضية في الشارع العربي.¹³⁹

إن صنع السلام بين العرب وإسرائيل يتطلب مقاربة دبلوماسية مستمرة، وليس مجرد تطبيق إسعافات أولية لأسباب لا تتعلق بمعالجة المريض. إن الفشل المتكرر في تحقيق السلام يعمق السخرية واللامبالاة إزاء احتمال التوصل إلى تسوية مستدامة ويسمح للجروح المتزايدة للصراع بالاستمرار في نقل العدوى إلى المنطقة.

عامل آخر يضيف إلى التعقيد في أي تحالف معاد لإيران سيتمثل في مصر. سيحجم السيسي عن منح مثل ذلك التحالف أي شيء يتجاوز الدعم اللفظي، رغم اعتماده على المساعدات المالية السعودية الحيوية وعلى الدعم العسكري الإسرائيلي ضد الجهاديين في سيناء. ويعود هذا إلى ثلاثة أسباب: (1) لا يستطيع تحمل نتائج أن يعتبر تابعاً للسعودية، خصوصاً بعد تنازله عن جزر البحر الأحمر؛ (2) هو منفتح على أن يعتبر معادياً لإيران وحزب الله، لكن إلى مدى محدود فقط، بسبب علاقات إيران مع الجهاد الإسلامي وحماس الفلسطينييتين في غزة وأثرهما على المصالح المصرية الحيوية في سيناء، وكذلك الحاجة لإعادة التأكيد على استقلال القاهرة عن الرياض، ونفوذها عليها، والتي تنافست معها تاريخياً على القيادة الإقليمية؛ (3) لم يخف السيسي، بصفته حاكماً فريداً، إعجابه بالأسد، عدو السعودية (المجموعة الثالثة)، لنجاحه في إخماد انتفاضة شعبية (المجموعة الخامسة) ومنع تحالف إسلامي سني من الوصول إلى السلطة (المجموعة الرابعة)، وهو سيناريو أكثر تهديداً للسيسي من دور إيران في سورية.¹⁴⁰

¹³⁵ السعودية دعمت حزب الإصلاح ضد الحوثيين حتى انقلاب السيسي في مصر في العام 2013؛ ومن ثم تحولت ضد الإصلاح – لكن فقط لمدة عام إلى أن اندفع الحوثيون إلى صنعاء وأطاحوا بالحكومة المدعومة من الإصلاح. انظر Gabriele vom Bruck, "Qatar crisis: Saudi Arabia as anti-hero?", *Le Monde diplomatique*, 27 June 2017.

¹³⁶ على سبيل المثال، فإن الحصار السعودي/الإماراتي لقطر أغلق ثلاثة جوانب من البلاد أمام الوصول إلى العالم الخارجي. وظلت القناة الوحيدة المفتوحة نحو إيران، وبذلك زادت من اعتماد قطر على جارتها عبر الخليج.

¹³⁷ Ben Hubbard and David D. Kirkpatrick, "The upstart Saudi prince who's throwing caution to the winds", *The New York Times*, 14 November 2017.

¹³⁸ انظر Nathan Thrall, *The Only Language They Understand* (New York, 2017).

¹³⁹ "Saudi Arabia condemns Trump's decision to recognize Jerusalem as capital of Israel", Reuters, 7 December 2017.

¹⁴⁰ انظر Feras Abu-Helal, "Explaining the Egyptian-Iranian 'rapprochement'", *Middle East Monitor*, 9 November 2016; and Eman Ragab, "Egypt's relations with Iran", *Al-Ahram Weekly*, 23 July 2015.

ب. عكس تراكز الدوائر

إذا كانت الصراعات تبدأ محلياً، وتجذب لاعبين إقليميين لدعم حلفاء أو وكلاء مترددين في ما ينجم عن ذلك من فراغ في السلطة، وبالمقابل تجر تدخل قوى دولية مع وصول هؤلاء اللاعبين الإقليميين إلى مأزق، فإن الطريقة المنطقية لمعالجة هذه الصراعات تتمثل في عكس العملية. فقط عندما تتوصل روسيا والولايات المتحدة إلى فهم مشترك للصراع السوري سيكون لدى اللاعبين الإقليميين الحرية للتخلص من الاستغلال الخارجي ومعالجة نزاعاتهم؛ و فقط عندما تتوقف القوى الإقليمية عن التدخل سيتمكن اللاعبون المحليون من الوصول إلى تلك الدرجة من التوافق أو الرؤية المشتركة اللازمة لتسوية صراعاتهم.

بعبارة أخرى، فإن القوى الخارجية لا تستطيع حل الصراعات المحلية، لكن اللاعبين المحليين لا يستطيعون إيجاد الحلول ما لم تسمح لهم القوى الخارجية بفعل ذلك. لا ينبغي لهذا أن يعني أن الجهود المبذولة لتسوية الصراعات المحلية ينبغي تأجيلها إلى أن تجد القوى الدولية والإقليمية وسائل جديدة لتحقيق درجة من التوافق بين مصالحها المتعارضة. يمكن لقدر كبير من العمل التحضيري أن يتم في هذه الأثناء. لكن واقعياً، لن يتم التوصل إلى أي تقدم فعلي ما لم، وإلى أن، تصبح الظروف الدولية والإقليمية أقل تناقضاً.

في سورية، حاولت روسيا والولايات المتحدة التوصل إلى تسوية مؤقتة لم تبلغ حد التعاون العسكري، بل اتخذ شكل "منع التصادم" في العمليات الجوية. وقد نجح ذلك إلى حد ما. كانت روسيا تسيطر بحكم الأمر الواقع على معظم الأجواء من أيلول/سبتمبر 2015 فصاعداً، وكانت راضية عن رؤية التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة يهاجم تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة (التي أطلقت على نفسها لاحقاً اسم هيئة تحرير الشام). ظهرت المشاكل عندما اقتربت قوات موالية للنظام من قواعد المعارضة المسلحة التي دربتها الولايات المتحدة، مثل التنف في أيار/مايو 2017. عندما قامت القوات الأميركية بقصف الرتل المتقدم، علقّت موسكو لفترة وجيزة ترتيبات منع التصادم فيما بدا على أنه بشكل أساسي عمل احتجاجي رمزي.¹⁴¹

يعد العداء المشترك للجهايين أحد مجالات الأراضية المشتركة بين الولايات المتحدة وروسيا. كما أن سلامة الأراضي السورية والمحافظة على مؤسسات الدولة تشكل عوامل مشتركة أخرى. لكن تراجع المصلحة الأميركية في التوصل إلى عملية سياسية انتقالية وتنامي المشاعر المعادية للروس في مؤسسات واشنطن حول دور موسكو في الانتخابات الرئاسية لعام 2016 قد تمنع التعاون. لقد ظلت الولايات المتحدة بعيدة بشكل عام عن عملية أستانة وخطة خفض التصعيد التي تم الاتفاق عليها هناك. تظهر هذه التجربة أنه عندما يكون هناك تلاقٍ بين القوى الدولية، أو عندما تتراجع إحداهما، فإن الأمور تبدأ بالتحرك على الجبهة الدبلوماسية مع اللاعبين الإقليميين الرئيسيين.¹⁴²

ترأّج مصلحة الولايات المتحدة في صياغة الأحداث في سورية والشرق الأوسط بشكل عام يوفر فرصة للاتحاد الأوروبي للتدخل للعب دور طالما قاوم لعبه، جزئياً لأنه يعتبر منذ وقت طويل أن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كانت أولاً وقبل كل شيء أولوية استراتيجية أميركية – بصرف النظر عما إذا كان ذلك إيجابياً أو سلبياً – حتى عندما كانت الرهانات عالية بالنسبة للاتحاد الأوروبي. الآن يمكن للاتحاد الأوروبي أن يحول غيابه السياسي النسبي عن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى ميزة: في حين أنه في عيون المنطقة فإن الدول الأوروبية قد تكون موصومة بماضيتها الاستعماري، فإن دورها كان دائماً تطغى عليه الهيمنة الدولية للولايات المتحدة (وقبل ذلك التنافس الأميركي السوفيتي في الحرب الباردة). لقد سمح عدم المشاركة السياسية للاتحاد الأوروبي له بمراكمة نقاط قوة تتعلق بالحيادية النسبية؛ كما أنه يتمتع بالقوة الاقتصادية التي تمكنه من صياغة التطورات، رغم أن الاتحاد لا يزال يأتي في المرتبة الثالثة عسكرياً بعد الولايات المتحدة وروسيا.

وهذا يوفر فرصة للاتحاد الأوروبي للتقدم إلى الساحة، واستخدام مساعيه لوضع الأراضية الدبلوماسية لاخرافات سياسية بين أطراف الصراع والتركيز على التدابير قصيرة الأمد التي لا تتطلب موافقة الدول السبع والعشرين الأعضاء فيه. في حين أن الاتحاد الأوروبي لا يزال يفتقر إلى القدرة على تجاوز قيوده

¹⁴¹ كانت موسكو قد علقّت ترتيبات منع التصادم مرة أخرى من قبل، في أعقاب الضربة الصاروخية الأميركية لقاعدة جوية سورية رداً على هجوم كيميائي للنظام في 4 نيسان/أبريل 2017 على خان شيخون.

¹⁴² اجتمع قادة روسيا، وإيران وتركيا في سوتشي في 22 تشرين الثاني/نوفمبر 2017، وأعلنوا الاتفاق على عقد مؤتمر يهدف إلى التوصل إلى تسوية سلمية للحرب السورية. اجتمع الرئيس بوتين مع الرئيس الأسد قبيل اجتماع رؤساء الدول الثلاث. "Russia, Turkey and Iran propose conference on postwar Syria's future", *The New York Times*, 22 November 2017.

السياسية، فإن عليه على الأقل أن يفعل المزيد لتوجيه موارده الكبيرة نحو تخفيف محنة مجموعات سكانية مكروبة، خصوصاً في اليمن، والتخفيف عن اللاجئين، مع التركيز على تعليم الأطفال. كما ينبغي أن يدفع الأنظمة الاستبدادية نحو الإصلاح، خصوصاً إصلاح قطاعها الأمني، والمساعدة على تعزيز قوة مؤسسات سيادة القانون، وأن يفعل المزيد لدعم جهود الوساطة التي تقودها الأمم المتحدة لخفض التصعيد في الصراعات العنيفة، واستخدام نفوذه الاقتصادي في علاقته مع إيران والسعودية لإقناع الطرفين بالانخراط في الحوار. في تبنيه لمثل هذه المقاربة، على الاتحاد الأوروبي أن يضمن أن الأموال التي تنفق لا تقوض أهدافه بعيدة المدى في منع الصراعات وتحقيق الاستقرار بل تسهم فيها.

في النظام/عدم النظام العالمي الراهن، تحتفظ الأمم المتحدة ببقايا دور لا يمكن إهماله من خلال وكالاتها وآلياتها المختلفة. لقد شجع الوصول إلى مأزق سياسي بين أعضاء مجلس الأمن، خصوصاً روسيا والولايات المتحدة، على اتخاذ خطوات أحادية خارج إطار الأمم المتحدة. هذا هو الوضع في سورية، حيث استبدلت روسيا مفاوضات جنيف بمسار أستانة الأكثر محدودية. مجموعات مثل 'أصدقاء ليبيا' أو 'أصدقاء سورية'، أثبتت أنها هيكلية غير عملية وبالتالي فإن فعاليتها محدودة.¹⁴³ كما أن جهود الوساطة الضعيفة والتي لا تحظى بدعم كافٍ والتي يبذلها الممثلون الخاصون للأمين العام للأمم المتحدة تسهم في المشكلة. إلا أن حالة ليبيا تبرز إمكانية تحقيق تقدم على المستوى المحلي عندما يكون هناك توافق بين القوى العالمية والإقليمية إلى حد ما.¹⁴⁴

إلا أن الأمم المتحدة لا تزال تتمتع بسمعة في الحيادية وراكت خبرة تقنية يمكن أن تستخدمها على طاولة المفاوضات. ويمكن قول الشيء نفسه عن مؤسسات إقليمية متعددة الأطراف، مثل منظمة الأمن والتعاون الأوروبي. وفي حين أن الأهداف ينبغي أن تكون متوازنة بالنظر إلى تعقيد الأزمات اليوم، فإن المؤسسات التعددية الفعالة لا يزال بإمكانها لعب دور حيوي على الأقل في تخفيض تصعيد صراعات منفردة في غياب درجة من التوافق الدولي أو الإقليمي. في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، للأسف، فإن الجامعة العربية ومجلس التعاون الخليجي، وكلاهما يعاني من انقسامات داخلية حادة، أثبتا أنهما غير قادرين على لعب دور وساطة فعال في معظم صراعات المنطقة.

إن الخروج التدريجي من المشهد لحكم مهيم، مثل الولايات المتحدة، التي تمكنت عبر احتكارها للعنف الدولي من فرض تحول حاسم على الأحداث، يعطي المستوى الإقليمي أهمية أكبر. عندما تقاطع مجموعات الصراع، من المغربي استكشاف إمكانية عقد "صفقات كبرى"؛ أي مقاربات إقليمية تعترف بتراط هذه الصراعات. يبدو أن المسؤولين في إدارة أوباما فكروا في هذا الاحتمال في حربي سورية واليمن، حيث رأوا في كلا الصراعين أيدي إيران والسعودية - دور أكبر لإيران في سورية وللسعودية في اليمن. وأظهرت المنافسة الإيرانية السعودية أن الصراع في اليمن لا يمكن تسويته دون تسوية الصراع في سورية. وكانت الفكرة عقد صفقة تسحب بموجبها إيران دعمها للحوثيين وتفضل السعودية الشيء نفسه مع حلفائها في المعارضة السورية المسلحة. وفي حين كان يمكن لهذا الاتفاق أن يبدو جذاباً. فإنه لم يأخذ بالاعتبار تعدد اللاعبين في الحرب السورية مقارنة بالحرب اليمنية. السعودية عارضت الفكرة، قائلة إنه بالنظر إلى أن إيران لا ينبغي أن تكون موجودة في اليمن فإن المملكة لن تدفع مقابل رحيلها.¹⁴⁵ لا يمكن استبعاد أي لاعبين رئيسيين من عملية تسوية الصراع إذا كان للتسوية السلمية أن تكون مستدامة.

ج. مبادئ السياسات الموجهة لإدارة الصراعات

من قبيل التوهم الاعتقاد أن الولايات المتحدة، أو الاتحاد الأوروبي أو الدول الأعضاء فيه يمكنها أن تؤثر بشكل حاسم في الصراعات المتصاعدة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إلا جعل الأمور أكثر سوءاً. إلا أن الدول الغربية لا تستطيع تحمل تبعات عدم الاهتمام بمنطقة لها فيها مصالح حيوية: التدفق الحر للنفط، الازدياد الكبير في عدد المهاجرين الذي يفرض ضغوطاً كبيرة على المجتمعات والاقتصادات (حتى لو كان هناك حاجة ماسة للعمالة الرخيصة في معظم الدول الغربية مع تقدم سكانها في السن) والصراعات التي تلهم الشباب الأوروبي المستاء من ظروفه بالانضمام إلى قضية جهادية غير محددة وإحداث الفوضى والاضطراب في المراكز السكانية. يتمثل التحدي في وضع سياسات تعالج هذه المخاوف دون أن تجعل الأمور أسوأ - أي دون تضخيم التهديدات التي قد يكون من الممكن إدارتها ما لم تعالج بشكل

¹⁴³ Lund, "How Assad's Enemies Gave Up", op. cit.

¹⁴⁴ خطاب غسان سلامة، الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة لليبي، مؤتمر الحوار المتوسطي 2017، روما، 2 كانون الأول/ديسمبر 2017.

¹⁴⁵ اتصال لمجموعة الأزمات مع مسؤول أميركي كبير، تشرين الثاني/نوفمبر 2017.

سيء. يمكن للقوى العالمية، بل ينبغي لها، أن تكون جزءاً من الحل طالما أنها تفهم أنها كانت ولا زالت جزءاً من المشكلة.

قبل العلاج ينبغي أن يأتي التشخيص. لضمان أن تأتي استجابات السياسات مفصلة على الأوضاع المعنية وأن يكون لها أثر إيجابي، على اللاعبين الخارجيين ليس فقط أن يكونوا مطلعين جيداً على التطورات السريعة، بل أيضاً أن يقوموا بتحليل دقيق في وقت حدوث الأحداث للقوى الرئيسية الدافعة واللعبين الرئيسيين في سياق تغيرهم. ينبغي أن تكون الخطوة الأولى دائماً تحديد كامل نطاق المتغيرات المؤثرة، وأن تؤخذ هذه المتغيرات بعين الاعتبار عند التخطيط للسياسات وضمان ألا يجعل التدخل الأمور أسوأ بوضع أولويات لا تعكس الاحتياجات المدنية المحلية بل تعمق الانقسامات السياسية. إن وضع إطار ذو أساس تاريخي لفهم خطوط الصراع أمر جوهري في مثل هذه المقاربة؛ حيث إن صناع السياسات يمكن أن يحدثوا المزيد من الضرر إذا لم يفهموا القوى الدافعة الأصلية لصراعات اليوم.

لقد شرّحنا أعلاه الصراعات الدائرة بغرض تزويد صناع السياسات بالأساس التحليلي لصياغة استجابات مناسبة وعملية. ينبغي للعمل أن يكون مستمراً، وهذه ليست الغاية من هذا التقرير؛ فتقارير مجموعة الأزمات التي تعالج صراعات محددة أكثر فائدة. لكن بصرف النظر عن الصراعات المتقاطعة، هناك مبادئ معينة على صناع السياسات الالتزام بها في صياغة استجابات السياسات لأي صراع مسلح فعلي أو محتمل. وتركز هذه المبادئ على اللاعبين الخارجيين انسجاماً مع مقاربة الدوائر المترابطة التي يطرحها التقرير.

فيما يلي، سنفصل الصراعات الساخنة عن أوضاع ما قبل الصراع ("الدول التي لا تزال قائمة") في طرح مقاربات ومبادئ السياسات. قد تكون هذه واضحة، لكن من المفيد تكرارها، حيث تلاحظ فقط عندما يتم انتهاكها.

1. في الصراعات القائمة: لا ضرر ولا ضرار

المبادئ الرئيسية في معالجة الصراعات هي:

□ **لا مزيد من الضرر.** إن تقديم الدعم المطلق غير المشروط للحلفاء المحليين الذين يسعون لتحقيق أجداتهم الخاصة يمكن أن يفاقم الصراعات أو يؤدي إلى نشوء صراعات جديدة لاحقاً. لا تنحازوا، حيث إن هذا سيعمق حالة الاستقطاب. يمكن لاستجابة عسكرية مفرطة للتهديدات المتصورة أن يزيد من حدة التهديدات بدلاً من تخفيف حدتها. يمكن لذلك أن يبقي الجروح الموجودة مفتوحة (على سبيل المثال، المظالم السنوية من المعايير الغربية المزروجة في العراق وسورية وإسرائيل/فلسطين وأمكنة أخرى) في محاولة لإزالة طرف مزعج (الجهاديين)، ما يؤدي إلى تغذية المزيد من التطرف. عمليات نقل السلاح المبررة بسياسات محاربة الإرهاب بدلاً من الدفاع المشروع عن النفس للمتلقى/الشاري تحدث من الضرر أكثر مما تنفع. إنها شكل خطر على نحو خاص من التدخل الخارجي – استغلال معاناة الآخرين – ويحدث أثراً عكسياً، إذا كان الهدف تقليص القوى الدافعة للصراع وتخفيف حدة أثره الأوسع. إنها تديم الصراع، وبالتالي تسهم في إحباط الجهات المانحة حيال عدم إحداث المساعدات التنموية لأي أثر.

□ **منع تدهور الأمور نحو الأسوأ.** ساعدوا الأطراف على إيجاد السبل لوقف وعكس حلقات التصعيد بالتركيز على المكونات التحريضية على نحو خاص في الحرب. وهذه قد تشمل الخطاب الطائفي الذي يحظى برعاية رسمية، وحملة التضليل، بما في ذلك من خلال الحرب الإلكترونية.¹⁴⁶ دون بذل الجهود لإزالة البعد الطائفي من التنافس الإيراني – السعودي لكشف صراع القوى الذي يدفعه، فإن السنة والشيعية سيشهدون المزيد من التطرف والاستقطاب، ما سيكون له تبعات سلبية وربما مميتة على ما بقي من الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. في غياب حلول واضحة، ومع احتمال أن يصبح الصراع المسلح دائماً في المنطقة، ينبغي أن يكون التركيز على الاحتواء بمنع الصراعات القائمة من نزع المزيد من اللاجئين، ومنع تغذية النزعة الجهادية والدعوة إلى التدخل العسكري الخارجي.

- **تحديد مجالات الأرضية المشتركة بين اللاعبين الدوليين كأساس للتعاون.** سيساعد هذا في خفض تصعيد التوترات العالمية، الذي من شأنه أن يسمح بالمقابل للاعبين الإقليميين بإيجاد السبل لخفض التصعيد أيضاً. ويمكن أن يشكل هذا أساساً لمجموعات "الأصدقاء" التي يمكن أن تتسق بفعالية الجهود الرامية لإنهاء صراع معين.
- **استكشاف إمكانية التوصل إلى رؤية مشتركة مع اللاعبين الرئيسيين في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا** لما يمكن أن يكون عليه ترتيب مقبول وعملي لمناطق النفوذ في المنطقة. من شأن هذا أن يفتح المجال للدول والناس لإيجاد السبل لإنهاء الصراعات المحلية.
- **منح الأولوية لتأسيس آليات منع التصادم – عسكرياً وسياسياً –** بين الأطراف المتحاربة مع استمرار الحرب. يمكن لمثل هذه الآلية أن تكون خطأ ساخناً يسمح بالتواصل العاجل؛ ويمكن أن يكون لها شكل آخر مثل خلايا أزمة حول كل قضية على حدة تتكون من ممثلين عن اللاعبين الرئيسيين لتخفيف حدة التوترات عندما تتصاعد. إن غياب مثل هذه القنوات يزيد من مخاطر الصدمات العرضية التي يمكن أن تتصاعد إلى مواجهات شاملة.¹⁴⁷
- **تحديد المجالات التي يمكن فيها تحقيق خفض التصعيد.** يمكن لهذه أن تكون خطوات بناء ثقة نحو جهد أوسع لتحقيق وقف لإطلاق النار وإجراء محادثات سياسية. في حالة الأفعال الإقليمية لإيران، فإن مثل هذه المجالات يمكن أن تكون في اليمن، والبحرين، وشمال العراق وشمال سورية، وبالنسبة للسعودية، يمكن أن تكون في سورية واليمن، وبالنسبة لتركيا، في مصر وبالنسبة للإمارات في ليبيا. بالنسبة لإيران، وقطر والسعودية، يمكن أن تعني معالجة الدور الضار لوسائل إعلامها؛ وبالنسبة للإخوان المسلمين، تخفيف حدة الخطاب التحريضي لبعض الناطقين باسمهم.
- **تقديم تعهدات مصاغة بعناية بتوفير المساعدات لإعادة الإعمار.** ينبغي لمثل هذه التعهدات أن تشجع على إنهاء الصراعات المسلحة والسعي إلى مرحلة انتقال سياسية شاملة ومدارة بشكل جيد.
- **فرض الضغوط العسكرية بحذر.** ينبغي أن يكون الهدف منها فرض الالتزام بوقف إطلاق النار، ودفع الأطراف إلى طاولة الحوار أو جعلهم يتخذون موقفاً دفاعياً وتهميشهم إلى أن يتعرضوا لانشقاقات كبيرة. ينبغي فرض الضغوط العسكرية فقط كجزء من استراتيجية سياسية شاملة تأخذ بعين الاعتبار جميع القوى الدافعة للصراع واللاعبين المشاركين فيه وتفهم كيفية تفاعل وتقاطع مجموعات الصراع.
- **جعل المريض في حالة استقرار حالما يتم التوصل إلى وقف لإطلاق النار.** وقف النزف من جرح مفتوح سببه الصراع – على سبيل المثال، مدن الموصل والرققة والمناطق المحيطة بها – بوقف النزف؛ من خلال قوة فرض استقرار تلعب فيها قوى الأمن المحلية دوراً بارزاً في أعمال الشرطة واضطلاع القوى الخارجية التي ساهمت في استعادة المنطقة بتوفير الأمن المحلي. ثمة مخاطر كبيرة في أن تستمر حلقات الصراع إذا حل فاتح/محرر خارجي ببساطة محل آخر.
- **تقديم المساعدات الإنسانية دون تمييز سياسي (أو أي نوع من التمييز).** تقديم الخدمة للناس وليس للأطراف. إذا كان الوصول مقيداً من قبل بعض المجموعات، ينبغي محاولة فرض توازن بمساعدة المناطق المتضررة خارج المناطق التي تسيطر عليها تلك المجموعات.
- **تمكين عمليات الانتقال السياسي الشاملة.** في مناطق ما بعد الصراع التي حققت درجة من الاستقرار، ينبغي بذل الجهود لإعادة إطلاق العمليات السياسية والحكم. وينبغي تنسيق هذه الجهود مع الأمم المتحدة، التي ينبغي أن تستلم قيادة هذه الجهود في معظم الحالات. بدلاً من إجراء انتخابات مبكرة من شأنها أن تمكن العناصر الأكثر تطرفاً وتعيد الالتهاب إلى جرح لا يزال حاراً، ينبغي المساعدة على وضع آلية حكم مؤقتة تستند إلى تقاسم السلطة بين شريحة واسعة من اللاعبين السياسيين المحليين تعكس تنوع المجتمع المعني. كما ينبغي تشجيع مقاربات المسار 1.5 والمسار 2 لوضع الأسس لوساطة فعالة.
- **وضع الآليات اللازمة لضمان العدالة الانتقالية.** وهذه ضرورية لوضع الأساس للمصالحة بين المجموعات المختلفة. لا تكررروا إحدى أكثر الأخطاء خطورة في العراق ما بعد العام 2003، حيث ساعدت عدالة المنتصر في إطلاق حلقة جديدة من الأعمال الانتقامية والصراع.¹⁴⁸

¹⁴⁷ انظر، Crisis Group، "The Iran-U.S. Trigger List"،

<https://www.crisisgroup.org/taxonomy/term/2141>.

¹⁴⁸ تقرير مجموعة الأزمات، "الحرب العراقية المقبلة؟"، مرجع سابق.

- **احصلوا على المساعدة التقنية من لاعبين محايدين ذوي خبرة**، مثل مكتب الأمين العام للأمم المتحدة، ومختلف وكالات الأمم المتحدة واللجنة الدولية للصليب الأحمر طبقاً لمجالات خبرتهم وولائيتهم. رغم سجل من نقاط الضعف، فإن إدارة الأمم المتحدة للشؤون السياسية لا تزال في الموقع الأفضل لقيادة جهود الوساطة. ويمكن للمنظمات غير الحكومية المتخصصة في التوسط في الصراعات أن تساعد في ترتيب أرضية مهمة مع الأطراف "الصعبة".
- **خصصوا موارد كافية** لجهود إنهاء الصراعات، وتحقيق الاستقرار في فترة ما بعد الصراع، وللمساعدات الإنسانية، وإعادة الإعمار وبناء السلام في مرحلة ما بعد الصراع.

2. بالنسبة للدول التي لا تزال قائمة: ساعدوا في إعادة التفاوض على العقود الاجتماعية

من أجل منع انهيار الدول الهشة – "الدول التي لا تزال قائمة" – فإن المبادئ مشابهة، ولكن مع بعض الاختلافات المهمة. ينبغي أن يكون الهدف المحوري مساعدة الدول على بناء شرعية جديدة من خلال عقود اجتماعية جديدة. المأزق هو أنه في حين أن من المهم مساعدة هذه الدول، خشية انهيارها تحت وطأة اللاشرعية المتنامية، فإن أنظمتها القمعية (وحشية الشرطة، والتعذيب، وتطبيق العدالة خارج المحاكم) هي التي تتحمل جزئياً المسؤولية عن نشوء المعارضة التي يمكن أن تغذي المجموعات الجهادية. الأنظمة المتشعبة بمواقفها ترفض التدابير الإصلاحية المقترحة من الخارج التي تقول إنها تفسح المجال للتطرف، في حين أن غياب الإصلاح هو الذي يدفع على التطرف.

كيف تناور وسط هذه الصراعات المتداخلة؟ فيما يلي بعض الأسس لمقاربة في السياسات

- **لا تحدثوا المزيد من الضرر من خلال استجابات أمنية مفرطة للتهديدات**. قد توفر هذه الاستجابات حلاً قصيراً الأمد لمشاكل اللاعبين الدائمين لكنها تفاقم التحديات الداخلية وقد تنتج عكس الحصلة المتوخاة. ينبغي أن تهدف المساعدات المقدمة للقطاع الأمني بشكل رئيسي إلى إصلاح وتوسيع مفهوم الأمن ليشمل جميع نواحي الأمن الإنساني.
- **ضعوا "العلاج" استناداً إلى تشخيص دقيق**. إذا كانت القوة الدافعة الرئيسية للانتفاضات العربية تتمثل في شعور عميق بالظلم الاجتماعي (المجموعة الخامسة)، فإن الحل ينبغي أن تصمم طبقاً لذلك وليس استناداً إلى حلول تقنية فقط، مثل تحسين توفير فرص العمل. من خلال تقديم المساعدة الفنية، من الضروري أن يفهم صناع السياسات السياق السياسي الذي تقدم فيه هذه المساعدة، وضمان أن تكون المساعدات مناسبة له.
- **ضعوا توقعات متواضعة للأثر الإيجابي الذي يمكن إحداثه**. هل عفى الزمن على نموذج المساعدات التنموية التي كانت تقدم قبل العام 2011؟ هل لا يزال من الممكن تطبيق هذا النموذج على الدول التي لا تزال قائمة اليوم؟ هل يجري هذا النقاش الآن؟
- **عبروا عن نياتكم بوضوح**. فكرة محورية ومتكررة في التصورات في المنطقة حيال العلاقات الغربية مع منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تتمثل في السؤال الملح المتعلق بالدافع: ما هو السبب الحقيقي الكامن خلف مقارنة من نوع ما يتم اقتراحها أو تطبيقها من قبل لاعب غربي ما؟ إن العلاقات السياسية والاقتصادية تتطلب الحد الأقصى الممكن من النزاهة والشفافية لمواجهة توليد نظريات المؤامرة إلى أكبر حد ممكن.¹⁴⁹
- **خذوا الوقت الكافي للحصول على التبصرات والفهم**. اعترفوا وأقرّوا بافتراضات محاوركم في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. كثيرون يرون الغرب، والمساعدات الغربية، من منظور المخططات الإمبريالية الجديدة. قد يكون من المستحيل تحريرهم من مثل تلك الأفكار، إلا أن القبول بأنه قد يكون لديهم نظرة وأولويات مختلفة سيساعد في تحديد المصالح المشتركة.
- **استخدموا الفعل لا الوعظ**. لا يمكن لأية حملة علاقات عامة أن تخفي بفعالية، ناهيك عن أن تحسن، الممارسات السيئة. لقد كشفت المنطقة ومنذ وقت طويل التدخلات الغربية والمعايير المزروجة التي

¹⁴⁹ في العراق في نيسان/أبريل 2003، كانت إحدى النظريات التي حظيت بالشعبية تقول إن عمليات النهب التي جرت مباشرة في أعقاب الغزو الأميركي لا بد أنها كانت متعمدة من طرف واشنطن لإبقاء العراق ضعيفاً والاستيلاء على نفطه. مقابلات، بغداد، نيسان/أبريل 2003. كما أن النزعة الانتصارية للولايات المتحدة ومعالجتها التي تفقر إلى الحساسية لمخاوف العراقيين لم تساعد كثيراً. Crisis Group Middle East & North Africa Briefing N°6, Baghdad: A Race Against the Clock, 11 June 2003.

يستخدمها الغرب. وهذا يعني تجنب مصطلحات تحدث نتائج عكسية ("تغيير الذهنية/العقلية")، والمصطلحات المشحونة أيديولوجياً ("التحول نحو الديمقراطية"، "العلمانية"، "تمكين المرأة")، والادعاء بإقامة "شراكات" متساوية في حين أن من الواضح وبعمق أن تلك الشراكات غير متساوية، واستخدام مناهج انتقائية ("الإسلام"، "العالم العربي")، للنظر إلى منطقة متنوعة. يمكن تنفيذ الأولويات الغربية لتمكين التبادل السلمي للسلطة وتعزيز الحكم الرشيد، وسيادة القانون، وإصلاح القطاع الأمني وتمكين المرأة بشكل أفضل من خلال التمويل الهادف وحسن تصميم المشاريع بدلاً من التعبير عنها بشكل صريح بوصفها أهدافاً للسياسات.

□ **مساعدة المجتمعات على إعادة التفاوض بشأن عقودها الاجتماعية.** ممارسة الضغط من أجل المشاركة والانخراط الشعبيين. لا تفرضوا خططاً أو مشاريع مهما كان النجاح الذي حققته في مناطق أخرى. لكن استندوا إلى الدروس المستفادة من مجتمعات أخرى في مراحل ما بعد الصراع وتقسّموا هذه التجارب بوصفها أدوات تعلم من خلال آليات مختلفة مثل تمارين المسار 2.

□ **خصصوا موارد كافية للدبلوماسية الوقائية.** انخرطوا في تمارين الإنذار المبكر والتخطيط للسيناريوهات بمشاركة ممثلين عن لاعبين محتملين في الصراعات. بعبارة أخرى، ينبغي أن تكون هذه التمارين نفسها مصممة لتعزيز الوقاية من الصراعات.

□ **قدروا وجود الإسلاميين المعتدلين في مجتمعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا واقبلوا بهذا الوجود.** إن تصنيف الإخوان المسلمين منظمة إرهابية من شأنه أن يحدث أثراً عكسياً. إن هذا لن يدفع قادة الإخوان بالضرورة نحو العنف، لكنه سيضيق خيارات الحركة ويعزز قوة السرديات الجهادية بأن المقاومة السلمية والتكيف مع الغرب لا يجدي نفعاً.¹⁵⁰

□ **ساعدوا في معالجة القضايا العابرة للأوطان/العابرة للمناطق:** إن معالجة آثار التغيير المناخي، والأوبئة، والتلوث والتردي البيئي، ونقص المياه، والتحركات السكانية، والمخدرات والاتجار بالبشر – إذا ذكرنا القضايا الأكثر إلحاحاً – يمكن أن تحدث أثراً مفيداً لبناء الثقة.

□ **داخلياً (في الغرب): تجنبوا عمليات صنع القرار المنعزلة.** إن وضع السياسات المجزأة وغير المنسقة من قبل الحكومات الغربية يؤدي إلى تعارض وتداخل جهود الأطراف المختلفة. إن اتباع مقاربة متكاملة تشمل "الحكومة برمتها"، مع التنسيق بين مختلف الوكالات، أمر محوري للتعامل بشكل متنسق مع أي صراع ومنع الآثار الثانوية العكسية، بما في ذلك تلك العابرة لمجموعات الصراع. (وهذا ينطبق بالطبع على الاتحاد الأوروبي والدول المنفردة فيه).

د. اللاعبون الإقليميون: طوروا تسوية مؤقتة جديدة

إن تدخل الدول الإقليمية في الحروب الأهلية في البلدان المجاورة لها يضمن عدم التمكن من تسوية هذه الصراعات دون خلق بيئة يمكن تحقيق السلام في إطارها. اللاعبون المحليون الذين يشعرون بالقوة بفضل دعم رعاتهم يهدفون إلى تحقيق النصر بدلاً من التوصل إلى تسوية. كيف الخروج من هذه الحلقة المفرغة؟

يسمح للاعبون الإقليميون لأنفسهم بالغرق في صراعات محلية لأنهم يخشون من أن خصومهم الإقليميين سيتفوقون عليهم في المنافسة. ولذلك فإن الخطوة الأولى ينبغي أن تكون وضع رؤية للتوافق الإقليمي تحافظ على المصالح الجوهرية وتوفر مجالاً للاعبين المحليين لتسوية القضايا بأنفسهم. وسيكونون بحاجة لمساعدة القوى الدولية الراغبة بتطوير فهمها المشترك الخاص وتقديم الوساطة بصيغ مختلفة، أي ذلك النوع من العمليات التي أفضت إلى اتفاقيات هلسنكي في أوروبا وما نجم عنها من إطار أمن إقليمي.

ينبغي أن يكون نزع فتيل التوترات هو الأولوية، سواء داخل مجلس التعاون الخليجي أو بين السعودية والإمارات من جهة وإيران من جهة أخرى. وهذا سيتطلب تفكيك العداوات الموجودة في المجموعتين الثالثة والرابعة في وضع تخشى فيه دول الخليج من تحد كامن في المجموعة الخامسة. كما سبترتب على إيران وتركيا إيجاد تسوية جديدة (استناداً إلى نظام المجموعة الأولى الذي سمح لها بالتعايش سلمياً لقرن من الزمن). ثم هناك القضية الأبدية المتعلقة بإسرائيل وفشلها في الاندماج في المنطقة (المجموعة الثانية).

¹⁵⁰ التقرير الخاص لمجموعة الأزمات رقم 1، "استغلال الفوضى: القاعدة والدولة الإسلامية"، 14 آذار/مارس 2016؛ و Crisis Group Special Report N°3, Counter-terrorism Pitfalls: What the U.S. Fight against ISIS and al-Qaeda Should Avoid, 22 March 2017.

لن تتم تسوية أي من هذه التوترات الإقليمية بسهولة، هذا إذا كان من الممكن تسويتها على الإطلاق. إلا أن جهود الوساطة الجارية يمكن أن تمنع تدهورها نحو الأسوأ. حتى لو لم تؤد هذه الجهود إلى احتمال التوصل إلى تسوية فوراً، فإنها رغم ذلك يمكن أن تضع الأسس لتسوية بعد مدة، وفي الوقت نفسه تحسن التواصل المتبادل وربما التفاهم. إن اتفاقية سلام وستفاليا لعام 1648 لم توضع في يوم واحد؛ حيث بدأت المفاوضات حالما اندلعت الحرب قبل ذلك بثلاثين عاماً وتمت معالجة العديد من القضايا فقط بعد توقيع اتفاق السلام. إن الثقة بين الأطراف المتحاربة، وهو شرط مسبق مفترض لتسوية صراعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، لن تتحقق إلا بعد انتهاء الحرب بعقود.¹⁵¹

هـ. اللاعبون المحليون: انهوا الصراع، وأعيدوا الإعمار، ورتبوا بيتكم الداخلي

لا ينبغي للجهود الرامية إلى وضع نهاية تفاوضية لصراعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أن تنتظر نشوء نظام إقليمي، ناهيك عن نظام عالمي جديد. قد يطول الانتظار. إن الكلفة الإنسانية للحرب مرعبة وتخطى الديناميكيات النابذة بالمزيد من زعزعة الاستقرار على المستويين الإقليمي والعالمي. كما في حالة اللاعبين الإقليميين، فإن الوساطة النشطة بين الأطراف المتحاربة – في سورية أو اليمن أو ليبيا – يمكن أن تساعد في منع المزيد من التصعيد حتى لو لم تستطع إنهاء هذه الصراعات. ويمكن أن يتم القيام بذلك بالشكل الأكثر فعالية من قبل لاعب حيادي يمتلك الخبرة الضرورية.

إن إلحاق الهزيمة العسكرية بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسورية أمر مهم، لكن الكيفية التي تتم فيها إدارة ما بعد الصراع ستحدد ما إذا كانت مجموعتي الصراع الثالثة/الرابعة ستعود إلى الاشتعال ومتى وكيف. إن مسائل بسط الاستقرار، والحوكمة وإعادة الإعمار جوهرية لمنع عودة ظهور النزعة الجهادية في المناطق التي تم تحريرها منها. دون دور يقوم به اللاعبون المحليون في جميع مكونات صنع السلام، فإن هذا الجهد سيفشل، وسيحل حاكم قمعي ببساطة محل حاكم قمعي آخر. المنطق واضح لكن التحدي هائل، لأن اللاعبين الذين يوفر الأمن في أي منطقة في مرحلة ما بعد الصراع سيكونون هم الذين يتخذون القرارات الرئيسية فيما يتعلق بالحكم وإعادة الإعمار.

إذا كان من الممكن خفض حدة العنف في الحروب في سورية، والعراق، واليمن وليبيا، فإن النتيجة الطبيعية ستكون حكماً لا مركزياً. بعد قرن من الحكم المركزي الذي فشل، فإن هذا سيكون تغييراً مرحباً به. إن الأشكال اللامركزية من الحكم حيوية لبناء شرعية الدولة استناداً إلى عقود اجتماعية يعاد التفاوض بشأنها بين المواطنين وحكامهم، لكن تشجيع اللامركزية دون إشراف مركزي من نوع ما سيشكل مخاطرة. ولذلك ينبغي تصميم الحكم اللامركزي في مرحلة ما بعد الصراع بعناية، وعدم السماح له بالنشوء بشكل تلقائي ومستقل.

اللاعبون الخارجيون لهم دور محوري يلعبونه في ضمان أن تكون عمليات التفاوض تشاركية، بحيث تحظى النتائج بقبول واسع. كما يمكن أن يساعدوا الحكام والمواطنين على بناء المؤسسات التي تحترم سيادة القانون وتسمح بتطبيق العدالة – وهذه مواطن عجز رئيسية في النظام السائد في فترة ما بعد العام 2011 في الدول التي تجاوزت الانتفاضات العربية لكنها لا تزال هشة بشكل خطير (مصر والسعودية بشكل خاص). ويبقى هناك تحديات أخرى تتمثل في الحاجة إلى تنويع الاقتصادات وفك عُرى علاقات الاتكال. إن آخر شيء تحتاجه المنطقة هو إعادة صياغة النظام القديم بوجه أو اسم جديدين.

أخيراً وليس آخراً، ينبغي أن تسعى المنطقة لاكتساب هوية جديدة، أو سلسلة من الهويات، التي تحتضن تنوعها الغني ولا يتم التعبير عنها بعبارات إثنية أو طائفية. ومن الواضح أن هذا يشكل تحدياً بعيد المدى في إطار إعادة البناء الإقليمي.

¹⁵¹ انظر Axworthy and Milton, "A Westphalian Peace", op. cit.

V. الخلاصة

دون وجود صفتقات كبرى أو حتى تسويات محلية دائمة تلوح في الأفق، فإن التشخيص المكلف للتطورات المستقبلية هو أن العالم قد يواجه مرحلة طويلة من عدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، تنتشر على العديد من ميادين المعارك. إن المجموعة الراهنة من الصراعات المتداخلة التي تفاقمت بسبب التدخلات الخارجية تحمل بعض أوجه الشبه مع حرب الثلاثين عاماً في أوروبا، والتي كانت ربما "الحرب العالمية" الأولى أو أنها بدت كذلك للأوروبيين؛ حيث انخرط فيها كل العالم المترابط الذي يعرفونه.¹⁵²

وهذا يشير إلى أنه من منظور السياسة الدولية فإن الهدف الرئيسي ينبغي أن يكون، ومن منظور واقعي يمكن فقط أن يكون، منع الأمور من أن تصبح أسوأ. وهذا يعني احتواء الأطراف ومساعدتهم على إيجاد السبل لخفض التصعيد وفي الوقت نفسه تقديم العون للضحايا، خشية أن ينجر العالم إلى حريق أوسع، ووضع رؤية لنظام إقليمي مستقبلي مستدام من خلال ممارسات تشاركية واسعة على مستوى الدول والسكان. بتعابير طبية: عزل المريض وجعل وضعه يستقر، وتقديم المسكنات وغيرها من المهدئات، بينما يتم ضمان ألا تؤدي أي خطوات علاجية أولية إلى تفويض التعافي النهائي للمريض.¹⁵³ إن النموذج المفاهيمي المقترح هنا ينبغي تطبيقه على كل صراع وكل أزمة توجد أو تندلع في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. إنه يسمح لصناع السياسات العازمين على وضع حد للنزيف بالشروع بالعلاج بناء على تشخيص صحيح وأن ينطلقوا طبقاً للمبدأ الأكثر أساسية: أولاً، لا تفعلوا أي شيء من شأنه إلحاق الضرر.

بروكسل، 22 كانون الأول/ديسمبر 2017

¹⁵² المرجع السابق؛ و Daudin, "The Thirty Years' War", op. cit.
¹⁵³ إن فكرة "الصراع الطويل" وتبعاته الإنسانية ذات صلة على نحو خاص، كما يقدمها دودن، Daudin, "The Thirty Years' War", op. cit.